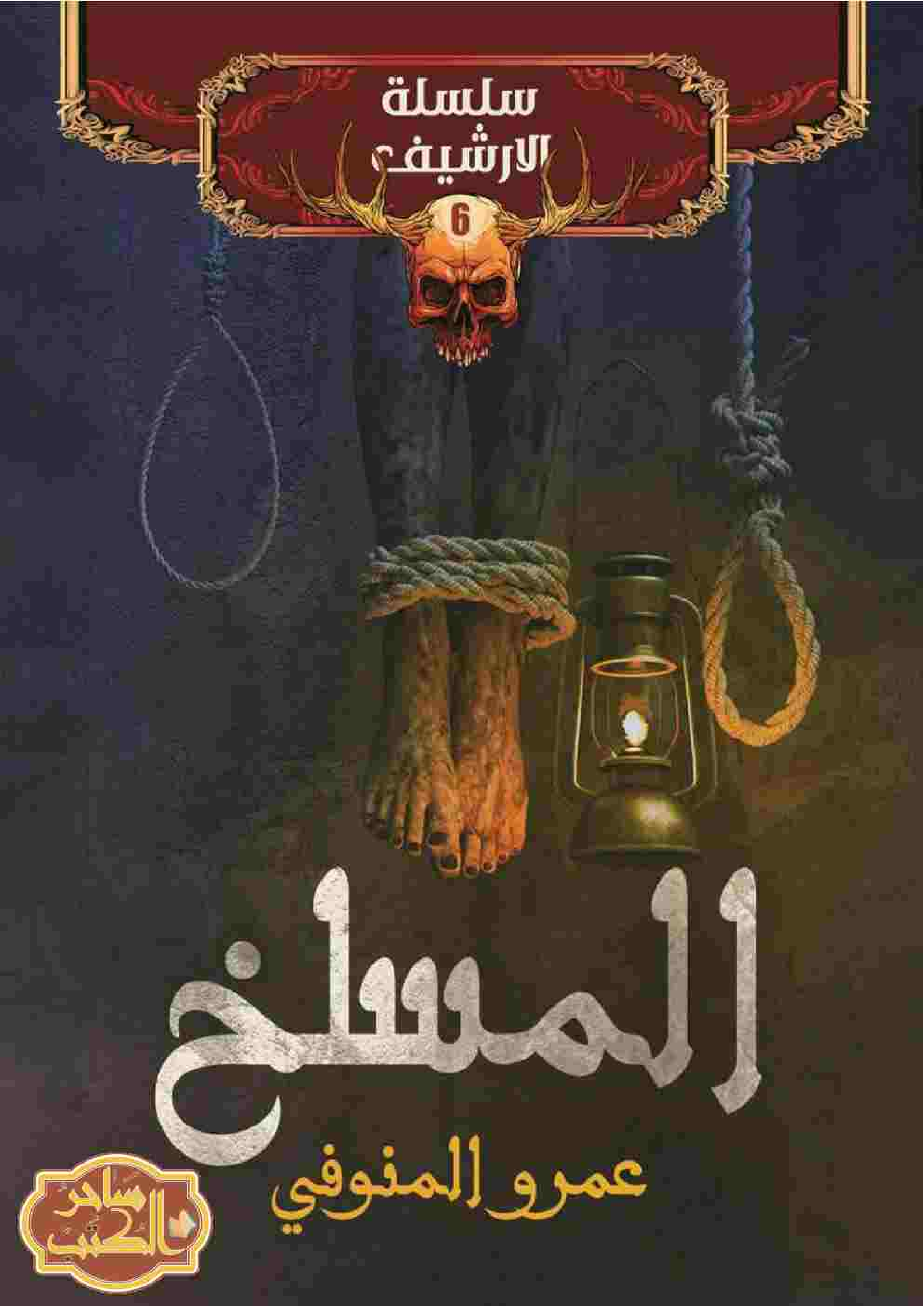

سلسلة
الارشيف
6
المسلخ
عمرو المنوفي
ساحر الكتب

مقدمة

صباح الخير إن كان صباحًا .

ومساء الخير إن كان مساءً .

معكم سالم منصور عبد الرحمن، الصحفي المغامر العاشق لعوالم ما وراء الطبيعية، والباحث المجد خلف الغموض وكل ما لا ينتمي لعالمنا، كاره القهوة، عاشق التبغ، البالغ من العمر ستين عاماً.

إن ما لدي من خبرات وقدرات لم تحيطوا بها علمًا، يمنحني بعض الثقة في أن ما سأقصه عليكم اليوم سينال رضاكم.

وأخبركم بسري الصغير، إن لدي أرشيف كامل يغص بكل ما مررت به من مغامرات، ومصائب، وأحداث غريبة، وغامضة، وخارقة، طوال حياتي، ومسيرتي الصحفية في هذا العالم، لم أترك شيئًا للذاكرة أو

للتخمين، كل شيء دونته أولا بأول، ودون زيادة أو نقصان في تلك الملفات التي تحتل نصف مكتبتي و..

لا تتسع أعينكم دهشة من هذه الملفات التي يتجاوز عددها الثلاثين، فمازال هناك مثلها أو يزيد في صندوق خاص موضوع بالعلية، غير ما لم أكتبه بعد، إن ما مررت به في حياتي أكثر مما تستوعبه عقولكم، ويستحق الاهتمام والتدوين.

لقد صنعت أرشيفي الخاص بداخل تلك الملفات.

المهم ما تحتويه هذه الملفات من قصص ومعلومات. بعضها مثير، وبعضها مخيف.

لقد حان الوقت لنخوض رحلتنا معا..

كوب من الشاي بالشيكولاتة ذو النكهة الأقرب إلى طعم مشروب الكاكاو القديم، التي بت أفتقدها في مشروبات هذه الأيام .

مقطوعة موسيقية حالمة لعمر خيرت..

مقعدي الهزاز المريح المزود بنظام حديث للمساج .

لنبدأ معاً قصة ملف: المسلخ

الألم هو الطريق.

حارس المصنع

(1)

سأغيب قليلا عن الأحداث التي ستضعكم في جو القصة المعتاد ثم سأعود لكم، لأجيب عن أسئلة كثيرة لم تتوقف عندها الأحداث رغم أهميتها.

لا مهرب مني على كل حال، فتلك قصصي وحكاياتي وأرشيفي.

لتنصتوا الآن.

يقول جمال رضوان حارس مصنع المقاعد القديم:

الأصوات الصارخة المتألمة التي عصفت برأسي، وأعادت الحياة لأذني الواهنتين بعد سنين موات، هي التي فضحت الأمر في البداية، ونبهتني لما يحدث داخل المصنع المهجور من وراء ظهري.

فبرغم ضعف سمعي الذي يزداد سوءًا مع تقدمي في السن إلا أن الأصوات الصارخة النائحة، كانت مزعجة بما يكفي، ومرتفعة بشكل لا يحتمل، وكادت أن تصيبني بالصمم.

لقد عاصرت النكسة بأهوالها، وحرب 73 بصعابها، ورأيت الموت بعيني في كل لحظة ونحن ننتزع النصر من بين أنياب الهزيمة.. لم يفزعني صوت الرصاصات، ودانات المدافع، والقصف العشوائي اليائس من الإسرائيليين، وأفزعتني هذه الأصوات الصارخة، التي أصابت أذنيّ بطنين مروع.

لم تكن أصواتا مألوفة، بل مزيج عاصف ومؤلم، من صراخ، وخوار، واستغاثة، وبكاء، وضحكات ماجنة.

أجواء شيطانية مثيرة للأعصاب، وكأنما فُتحت نافذة خفية على معتقل جهنمي يتم فيه تعذيب وسلخ نزلائه، أو إحراقهم أحياء على نار هادئة، بأيدي زبانية الجحيم.

ولساعة كاملة - كادت روحي أن تزهق فيها - ظلت الأصوات الصارخة تصفع أذني كمطارق من الصلب، لدرجة أني اضطررت في النهاية لإغلاقها بسدادات يدوية صنعتها من الشمع المنزلي.

ولم يتوقف الأمر عند هذا، بل وتبعتها بأن لففت الشال الصوفي الثقيل حول رأسي، ككاتم صوت إضافي، وعيناي تذرفان دموعًا لا إرادية نتيجة الألم المصاحب للطنين، في محاولة مني كي لا أجعل عقلي ينفجر أو يجن في أفضل الأحوال.

وبرغم ما بذلته من مجهود واحترازات، لم يتبدد الطنين المؤلم أو تخفت حدته. فقط ما تبدد من حياتي، هو الهدوء الذي عشت فيه لعشرة سنوات كاملة، هي مدة عملي كحارس لمصنع المقاعد المهجور، وهذا جعلني أدرك أن الماضي الذي تهجره، ليس في كل الأحوال يهجرك، أو يتركك لتهنأ في عزلتك.

الماضي وغد زنيم لا يتركك إلا في قبرك.

والآن أُدرك أنهم عادوا لمطاردتي، بعد أن نسيتهم تمامًا، أو تناسيتهم لو أردتم الدقة.

كان صبرهم أكثر طولا من عمري، وكراهيتهم أعمق من غفلتي.

لم يغفر لي ما دفعته من ثمن فادح على أيديهم، ولم يشفع لي حيادي عن هذا الطريق المظلم، وها هم سيجنون ثمار انتظارهم، ولا شيء أقل من موتي سيرضيهم.. هذا لو اكتفوا به! فمثلهم لا يهدون الموت لأعدائهم ببساطة.

لقد بدأ الأمر بالأصوات الصارخة المؤلمة، فما هي المرحلة التي تلي الألم؟

لابد من مرحلة تالية، فهذا ديدن كل هذه الأمور النجسة.. التي ظللت طوال عمري، وحتى عقد كامل مضى أغرق فيها.

لذا كان علي أن أتحرى الأمر وبدقة.. إن هذه الأصوات ليست هي النهاية، بل هي بداية شيء مخيف ومظلم،

شيء قادم من أرض الموت والكوابيس والسحر الأسود، قادم من عالمي المظلم الذي هجرته، فجاء يسعى خلفي.

في الليلة الأولى أخفقت في معرفة مصدر تلك الأصوات الصارخة النائحة، التي كانت تشبه موسيقى الجنائز التي تعزف وسط معركة دائرة بين فريقين همجيين يحاولون الفتك ببعضهم البعض دون هوادة، والتي كانت تبدأ من العدم وتعود إليه، برغم بحثي الحثيث عن مصدرها، بعد أن هدأت آلام أذني إلى حد ما.

عدت في تلك الليلة من رحلتي الفاشلة حول المصنع، بعد منتصف الليل بعدة ساعات، وكانت عودة مشئومة لأنني رأيت في الأفق المظلم ذلك الخط الأحمر الكثيف، الذي بدا لي في قلب الظلام، وكأن هناك من شق جلد السماء لتنزف ببطء.

وهو أكثر شيء جعل قلبي ينقبض في تلك الليلة، بل وأصابني برعب هائل، لأنني أدركت على الفور معناه

وتبعاته الخطيرة.

لقد نجح أحد الحمقى أخيرا في قهر وتدمير حزام يائيل، درعنا الأقوى أمام شرور مخلوقات الأبعاد الأخرى، ولن يمنعهم أحد من العبور إلى عالمنا، والانتقام من شيخ هرم مثلي.

ولم يتوقف الأمر عند هذه النقطة، فبعدها وجدت أمام باب غرفتي بركة غامضة من الدماء الفوارة، التي ظهر من خلالها الخيط الأحمر السماوي وكأنه انعكاس لها.

كمية هائلة من الدماء، أستطيع تمييزها جيدًا، وشم رائحتها.

وكأن هؤلاء المتوحشين المجهولين قد قاموا على غفلة مني بذبح عشرة من البشر وافري الصحة واستنزفوا دماءهم، ليصنعوا منها بركة الدماء، والتي كانت تفور وتغلي، وكأن هناك موقد جحيمي أسفلها.

ولو اقتربتم معي أكثر، ودققتم فيها - وهذا ما لا أنصحكم به - لرأيتم المئات من الديدان السوداء غريبة

الهيئة، والتي تشبه في هيئتها الثعابين.

ديدان صغيرة اسطوانية الشكل كالعلق، تسبح بقلب الدماء بسرعة عجيبة، بل وتلتهم بعضها، حول رأس ماعز متوسط الحجم، تم طعنه بخنجر مطلسم، في مشهد مهيب ومرعب.

هذا المشهد المروع لم يكن غريبًا عن عالمي، لقد عاصرت ما هو أبشع وأشنع منه، و إن كان هذا منذ زمن بعيد، واستطعت مواجهته لأنني كنت في كامل صحتي وغروري، بما امتلكه من قدرات سحرية، ومعارف مظلمة قضيت عمري في جمعها، وإتقانها.

مشهد مماثل كنت سأتجاوزه مبتسما، مبتهجا مما سينال صاحبه على يدي من أذى، بعد أن أتتبع أثر سحره، وأقهره دون أن تهتز لي شعرة واحدة أو أتحرك من مكاني..

أما الآن فهو يثير قلقي.. بل هلعي لو أردتم الحقيقة.

إنه نذير شؤم عظيم، ورسالة تهديد صريحة، ومفجعة، ولا تحتاج لتأويل.

فرأس الماعز المطعون، هو طريقة استعراضية شهيرة في عالمنا، لإبلاغي بما كنت أتجنبه طوال العقد الماضي.

نحن هنا ..

ولم ننس .

لم أنم لحظة واحدة في هذه الليلة السوداء، بل ظللت مستيقظا حتى انبلج النهار، متشبثا ببندقيتي العتيقة، محاولا البحث عن السبب الحقيقي لعودتهم بمثل هذه الطريقة المفاجئة.

وكانت الإجابة الوحيدة المنطقية: أنني لم أعد أنا!.

أنا شخت وهرمت وضعفت، وهم مازالوا ينعمون بالقوة والجبروت والرغبة في الانتقام.

فلن تقارن دورة حياة بشري فانٍ مثلي، لا يتخطى متوسط عمره المائة عام في أفضل الأحوال، بدورة حياة كائنات جهنمية آتية مما وراء العالم، وتمتد دورة حياتها لعدة آلاف من السنين، وبعضها يمتد إلى ما هو أكثر.

لم يكن علي أن أثق ثقة مطلقة في علمي، وقدراتي الهائلة التي حصلت عليها من إتقاني فنون السحر الأسود والنكرومانسي - وهو لمن لا يعلم: فن استجواب جثث الموتى والتهامها للحصول على أسرارهم ومعارفهم - فالزمن لا يبقي شيئًا على حاله، والسحر لا يستمر إلى الأبد.

فشيء كارتصاف الكواكب وحركة النجوم، أو سحر خاطئ من ساحر غير متمرس قد يعترض مسار سحري القديم، ويفسده.

كما أن العلوم السحرية تتطور، خاصة خارج حدود عالمنا الضيق هذا، فالسحر هو القوة الخفية التي تعيد تشكيل المكان والزمان.

والنتيجة التي وصلت إليها، أن انهيار حزام يائيل، قد أفسد عمل عشرة سنوات كاملة، وأدى لفتح ثغرة أو ثغرات بين عالمنا، وأحد العوالم السفلية، أو العلوية، وتسربوا منه إلى عالمي، وعادوا لمطاردتي.

لقد أصبحت الفريسة الآن بعد أن كنت الصياد.

وحان وقتهم لاقتناصي.

لذا عندما انتصف النهار، واعتلت الشمس قبة السماء، وأحرقت بسهامها اللاهبة ظهر العالم، خرجت من غرفتي حاملا شكوكي ومخاوفي.

كانت بركة الدماء قد جفت، وجثث الديدان قد افترشت المكان بشكل بشع، واختفى رأس الماعز والخنجر المطلسم، وما أثار اضطرابي أكثر، أني شاهدت فوقها آثار أقدام ذات حوافر، قد سحقت جيفها اليابسة.

لقد كان أحدهم هنا!! ..

عند بابي.

يا لغفلتي!!

أهم بهذا القرب والجرأة؟

لقد كانوا تحت أنفي ولم أستطع شم رائحتهم، أو رصد طاقتهم، إنني بالفعل لم أعد أنا!

لقد انتهيت وغروري يحاول إقناعي بالعكس.

أصابني الأمر بإحباط كبير، خاصة وأني اضطررت آسفا لأن أستعمل المعول ذو اليد الخشبية المهشمة التي آذت يدي، لفتح ممر نظيف وآمن لخروجي من الغرفة التي أصبحت رائحتها كالمدابغ.

وهذا جعلني أتساءل ممتعضا، عن كنه الشيء الذي كانت تتغذى عليه تلك الديدان المقززة؟

لم أجد إجابة مريحة، فعدت لأبحاثي.

وحيرتي.

في الليلة الثانية استطعت أن أحدد أن مصدر الضجة والصراخ، يأتيان من مكان ما داخل ساحة المصنع المهجور، بالقرب من نقطة مضيئة مجهولة، ظهرت من العدم هي الأخرى، ولم أعرف مصدرها في حينها، لأني لم أجرؤ على دخول مبنى المصنع وحيدًا، فتلصصت على ما يحدث من بين القضبان المعدنية لبوابته الصدئة، ورأيت بقلب الساحة أول قطرات الهول.

جثة ..

لا لم تكن جثة، بل هو جسد مكسو بالفراء يحتضر.

والمحتضر لم يكن إنسانًا بالطبع، بل كلب شرس في حجم إنسان بالغ، يكسوه فراء أسود اللون، لديه عين مفقوعة، يزوم وسط بركة من الدماء، وكأنما قام شخص مريض سادي ببقر بطنه، وإخراج أحشائه، ولفها حول عنقه في مشهد مقزز.

والذي زاد الأمر سوءا، أن رأس الكلب كانت تتحرك في أريحية، وتهبط بتؤدة لتلتهم أمعاءه في تلذذ، وتلوكها

في جشع، وكأنه مستمتع بشدة بطعم أحشائه، ولا يشعر بالألم، أو بروحه التي تتسلل هاربة من جسده.

أقنعت نفسي أني أخرف وأهلوس، وغادرت المكان، وفرائصي ترتعد، ولا أعرف لماذا في هذه الليلة لم أقرر الهروب من المكان!.

وليتني فعلت، ولم أواجه حاملي المطارق .

أو الأبقع.

في الليلة الثالثة تبخر يقيني نهائيًا بنقطة انبعاث الأصوات عندما أدركت أنها لم تعد تصدر من مكان بعينه، بل باتت تأتي من كل مكان، بشكل مستفز ومؤلم ومتصاعد.

في هذا الوقت، وبشكل ما تحول الطنين المؤلم إلى ترددات صوتية صادمة زلزلت أعماقي بشدة، وأظهرت لي حجم ضعفي بوقاحة، وكأنها تتعمد إفقادي تركيزي وطاقتي لأتوقف عن تتبعها.

ولم يقتصر الأمر على هذا فقط، فالنقطة المضيئة الغامضة، صارت نقاطا كثيفة كالنجوم، وأخذت تحوم في كل مكان بشكل عشوائي، قبل أن تمتزج لتصير ضوءًا ملونا متقطعا ينبض بشكل هستيري، كمصباح عربة إسعاف تالف.

ووسط هذه الأضواء النابضة الجنونية. ظهر بشكل مريب اثنتان من الإناث العرايا، تتقاتلان بشراسة على ضوء القمر المكتمل الذي أنار المكان ومنحه سمتا شيطانيًا مريبًا، وفي يد كل واحدة منهما مطرقة صدئة ذات يد خشبية قصيرة، لابد وأنهما حصلتا عليها من مخلفات المصنع نفسه.

بالطبع لن تستخدم هذه المطارق في نزع المسامير.

صرخات الألم مع صوت تهشم عظامهما كان بشعًا.

الأجساد العارية الغارقة في الدماء لم تكن مثيرة على الرغم من جمال الفتاتين، وأن إحداهما تمتاز بشعر طول يصل لعجيزتها.

لم يكن عراكا عادياَ..

بل صداما وحشيا ضاريًا..

وكأنما عاد بي الزمن إلى العصور الوسطى.

وشعرت بحضور شيء همجي وحشي، لم أستطع تحديد ماهيته في حينه، كان يحيط بكل شيء، ويسيطر على إرادتهما.

الضربات العنيفة التي لا يمكن أن يتحملها مصارع متمرس، كانت تصيبني بوجع وهمي، وأنا أتخيل نفسي أرزح تحت ثقلها عاجزا، ليس بوسعي حتى الدفاع عن نفسي.

المرآتان ملتحمتان بشكل مرعب، وكل واحدة منهما تريد في غل وحقد وشراسة النيل من غريمتها.

لن ينتهي هذا القتال حتما بسقوط إحداهما مصابة أو عاجزة.

بل بموتها.

قلبي يرتجف في كل مرة ترتفع فيها المطرقة لتهوي وتهشم.

تلك الكتلة من العظام المختلطة باللحم والدماء كانت فكًا ممتلئًا بالأسنان ذات يوم.. لا تبحث خلفها عن اللسان، لأنه تمزق من هول الضربة.

النساء أكثر ضراوة في القتال لو أردتم رأيي، وجميعهن يكرهن بعضهن بعضًا كالأبالسة.

ولو كان هناك جمهور من الرومان كما كان يحدث قديمًا، وتوسطت هاتان المرأتان الأرينا أمامهم، لحصدتا إعجاب المشاهدين الدمويين، ونالتا العديد من صيحات التشجيع التي لم يحظ بها مقاتلان من قبل، ولأرهقتا المراهنين عليهما.

تابعت المعركة بعقل يكاد يذهب من فرط وحشية القتال.

وعندما احتدم القتال وأجهزت إحداهما على الأخرى، بضربة هائلة هشمت عظمة ساقها اليسرى، فبرزت من أسفل الجلد بشكل بشع وأوقعتها أرضا، توقعت أن تهشم رأسها بضربة أخيرة وتنهي القتال.

ولكن ما حدث بعدها جعل قلبي يسقط في قدمي، وصرخة مكتومة تخرج من فمي، وأنا أواري جسدي خلف بوابة المصنع الصدئة، وعيناي تتسعان رعبا ودهشة، بعد أن قامت المرأة العارية ذات الشعر القصير، برفع مطرقتها لأقصى مدى يصل إليه ذراعها و..

وأخذت تهشم كل عظمة سليمة في جسد غريمتها، والتي كانت تتلوى من الألم دون أن تستطيع الصراخ بسبب فكها المكسور ولسانها المقطوع، فأخذت تزوم من أنفها كحيوان يحتضر.

لم أتحمل المشهد الدموي الجنوني، فهرعت راكضا إلى غرفتي، التي لا يمكن أن تكون ملاذا حقيقيا، وأصوات

التمزيق والمضغ الوحشي تطاردني إلى حيث أختبئ، وكأن بُعد المسافة لا يؤثر على جودة الصوت.

ولم أحتج كثيرا من الوقت لأفهم أن المرأة المهزومة أصبحت طعام العشاء لتلك المتوحشة قصيرة الشعر التي هشمت عظامها، وجلست تلتهمها، وهي على قيد الحياة.

وهذا جعلني أتساءل بقلب واجف، عن شعور تلك المرأة طويلة الشعر، وهي ترى نهايتها البغيضة على يد قصيرة الشعر، قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة، وقد رأت جزءًا أو أجزاءً منها يسكن معدة غريمتها؟

إن في الأمر شيء شيطاني جهنمي عاجز أنا عن تفسيره.

فهل أصاب العالم الجنون ؟

أم أصابني أنا ؟!

لن أحكي لكم عن حالتي النفسية بعد كل هذا الهول الذي عاصرته، لابد وأنكم توقعتم كل شيء.

إن ما شاهدته في هذه الليالي الثلاث، كان أعلى من قدرات شيخ واهن مثلي على التحمل، وهذا أحالني للفكرة الشنيعة، أن نهايتي لن تكون سريعة أو أقل شناعة.

إنهم يستخدمون نوعًا قديمًا جدًا من السحر أعجز عن تحديد ماهيته ومصدره، أو مواجهته حتى هذه اللحظة.

وهدفه واضح وجلي..

إنهم يسعون لتحطيم إرادتي، وهزيمة روحي، قبل أن يرسلوني بتذكرة ذات اتجاه واحد إلى الجحيم، وبأبشع الطرق.

الماضي عاد يطاردني ويتحداني، وأنا لم أرفض تحدٍ في حياتي.

ولكني الآن شخت، وذاكرتي وهنت، وأعدائي لديهم طرقًا جهنمية للظفر بشيخ هرم مثلي، وهي النهاية التي لم أضعها في حسباني، مع مرور عقد كامل عشته في أمان وسلام، دون تهديد أو إزعاج، أو تواصل مع ساكني العالم السفلي، أو سجنائي خلف الحجب.

من الواضح أنني كنت أحمقا، وها هو الماضي يبعث من بين الرماد، مصرا على تعذيبي في أيامي الأخيرة في هذه الحياة، وبأسوأ الطرق.

ولكن المصائب لا تأتي فرادى.

وهنا ظهر الأبقع.

(2)

طق طق طق..

نقرات عنيفة على باب غرفتي المغلق، وكأن هناك من يستخدم فأسًا حادة لضربها، رغبة منه في فتح منفذ في الباب الخشبي للفتك بي.

أقبض على بندقيتي وأوجهها ناحية الباب في انتظار الهجوم الغادر، ودخول ذلك المجهول، وكأن سلاحا عقيما مثلها، قادر على قهر هذا النوع من الأعداء، أو الشرور القادمة من أعماق الظلام.

لقد نسيت تماما من كان جمال القديم، وصار جمال حارس المصنع هو الذي يتعامل، وهذا سوء تقدير سأتحمل تبعاته فيما بعد دون شك.

طق طق طق..

إن هذا المهاجم أحمق، أو لا يرى مني خطرًا، فهو لا يحرص على السرية، لأنه لا يحاول أن يتسلل إلى

الغرفة بهدوء، أو يحاول مفاجأتي.

فهل عادت المرأة ذات المطرقة لتتصدر المشهد من جديد؟

أمازالت جائعة؟

هل تريد أن تجرب لحم الشيوخ المتغضن؟

هل النهاية قريبة إلى هذه الدرجة؟

أتمتم بعزيمة حماية بسيطة، ذاكرتي لا تسعفني بالكلمات ولا طريقة نطقها، فيزداد تمسكي ببندقيتي العتيقة التي كانت ترتجف مع اهتزاز قبضتي.

لقد هرمت حقًا!

طق طق طق طق..

سرعة النقر تزداد.

طق طق طق طق..

إنها نقرات وليس ضربات مطرقة.

طق طق طق طق..

فإن لم تكن المرأة الدموية قصيرة الشعر، فمن يكون ؟

فوووووووووووووووووم..

أتت الإجابة بعد لحظات من التوتر، على هيئة عاصفة بجناحين أسودين مخيفين، وصوت كالنحيب.

بل هو نحيب مخيف موتر للأعصاب.

وعندما حددت عيناي الهيئة الخارجية للمهاجم انقبض قلبي كثيرًا، وزادت حدة ضرباته، وأيقنت أن من يعبث بي يدرك جيدًا، ما يخيفني.

إن له مسميات كثيرة.

منها الأسود .

والأبقع .

والزاغ .

والغداف.

والأعصم .

ويطلق عليه العامة .. الغراب.

غراب البين بنفسه قد أتى إلى غرفتي مهشما بابها الخشبي من المنتصف، وحلق في وسطها، وأخذ يضرب الهواء بجناحيه في قوة، وعيناه الحمراوان الدمويتان تحدقان في عيني بطريقة أفزعتني، فصوبت نحوه البندقية دون أن أجرؤ على ضغط الزناد.

صمت مريب ساد المكان، إلا من خفقات الأجنحة المستمر، حضور قوي لشيء مجهول في المكان، وهذا جعل الهلع يسكنني، بل كنت على مشارف الإصابة بأزمة قلبية.

وعلى الفور سطع اسمه من أعماق ذاكرتي الواهنة..

لم يعد عندي شك في عودة ألد أعدائي، هو أو أحد أعوانه، وهذا ينذر بمواجهة غير عادلة سأكون فيها الضحية..

أنا أطلق عليه الجهنمي، لساديته ودمويته.

وخدمه يطلقون عليه السيد أبانوخ.

وهو لقب يليق بهيئته المفزعة المظلمة، بمسوح الرهبان التي يرتديها، ومنجل الحصاد الضخم الذي يستخدمه في نزع الأرواح.

إنني أحيا أبشع كوابيسي، وأنا في أوهن حالاتي .

دعوت الله في سري ألا يكون هو.

ولكن كل المؤشرات تقودني إليه، أو تقوده إلي، لا فارق.

أبانوخ الجهنمي عاد وبصحبته منجله الحاد ليجتث عنقي.

لقد انتظر في صمت وصبر، وظل يراقبني وهو يلملم جراحه بعد مواجهتنا السابقة التي هزمته فيها شر هزيمة، حتى أدرك أنه لم يعد هناك أي خطر مني، وها هو يعود بوسيلة أجهلها ليعبث بي، بعد أن أفسد حزام يائيل، أعظم أعمال أحد أقوى السحرة الأخيار الذين عاشوا على الأرض خارج سجل التاريخ المكتوب.

والآن..

لا سحر سيوقفه، ولا أسوار، ولا قوانين .

من يهزم حزام يائيل الدفاعي، لن يمنعه شيء أو يقهره شيء.

سيفعل ما يريد، وقتما يريد..

إن أبانوخ من مردة الجن القادرين، فهو يتحكم في (المانا) تلك القوى الغامضة الساكنة في كل شيء وكل مكان.

وهذا يعني أن نهايتي قد حانت.

الغراب لا يتحرك من مكانه، وجسدي كله يرتجف، عيناه جمرتان متوقدتان تخترقان روحي.

أمشاج .. أتراج .. دونام.. ميشكل .. موتا تموت ..

بيتروس .. كروس .. بالا شيكا.. دماء تسيل .

توكل يا خادم الطلسم .. واحصد روحه .

توكل بحق الأسماء التي أنت لها طائع.

أجب بحق كفيال ، دنيات ، شهقيال ، وسحقيون.

العجل العجل .. الساعة الساعة .

هبراكفيس.

تمتمت بتلك العزيمة التي حضرت إلى عقلي من بين ركام الذاكرة المتداعي بشكل مفاجئ ومريب، وأنا أرسم في الهواء طلسم شديد التعقيد.

وعلى الفور هاجت ريح عظيمة بقلب الغرفة الخشبية، وارتفع الأثاث ليطفو في فضائها وكأنما يحمله إعصار، ومن قلبه ظهرت مخالب سوداء مخيفة، هاجمت الغراب ومزقته إربا ونثرت دماءه وريشه الأسود في كل مكان، قبل أن يهوي الأثاث أرضا مهشما، وكادت شظاياه أن تصيبني لولا أن تفاديتها بصعوبة، وعلى الأرض هويت جالسا وأنا أفكر في نتيجة ما قمت به.

لقد كنت أحمقًا، وسقطت في فخ الجهنمي.

انعدام استعمالي للسحر الأسود طوال عقد كامل مضى، كان بطاقة نجاتي الوحيدة، وقد تخليت عنها الآن في لحظة هلع.

كما أن قتلي للغراب جدد عهد الدم، وأرسل عبر الأثير رسالة مفادها أني قبلت التحدي..

وهذا بمثابة إعلان حرب أدرك تباعاتها جيدا، وضعفي في مواجهتها.

غفوت بين أكوام الأثاث المهشم على كليم نوبي نجا من العاصفة، حتى الصباح، متوقعا كارثة جديدة تصيبني مع شروق الشمس.

وكالعادة ظهر جهلي جليا بطريقة سير الأمور، بعد أن عاد كل شيء لطبيعته بشكل مريب. فلم يعد هناك برك من الدماء تسبح في قلبها ديدان متوحشة، تلتهم بعضها في ضراوة، ولم يعد هناك كلب أعور يلتهم أحشاءه، أو امرأتان تهشمان عظام بعضهما بمطارق صدئة، وتلتهم إحداهما الأخرى.

فقط استمرت الأصوات الصارخة والأضواء الجنونية، في إزعاجي بعدها لأربعة أيام، كدت أنزلق خلالها لقاع هاوية الجنون، قبل أن تصمت فجأة لأسبوع كامل.

هدنة مؤقتة أجبرت خلالها على العودة إلى عملي القديم، وإلى استخراج كتبي السرية، ومخطوطاتي الثمينة التي دفنتها مع عز قبل عقد كامل من الزمن، والتي اكتشفت ضياع نصفها إن لم يكن أكثر.

لم يكن عز مساعدي الخبيث، أمينا على كنوزي كما كنت أعتقد، ولهذا حساب وعقاب عسير، ولكن عز الآن يقبع في ذيل قائمة اهتماماتي.

وخلال هذا الأسبوع قمت بعشرات الطقوس الفاشلة في محاولة للسيطرة، وتأمين مكان معيشتي، ولسبب ليس مجهولا كليا لي، فشلت كل محاولاتي لإنفاذ تميمة الحماية.

فقوة السحر ترتبط بقوة الساحر وأنا في أوهن حالاتي سواء من الناحية الصحية، أو العقلية.

وعندما أخفقت في القيام بهذا العمل البسيط، تركت مخطوطاتي وكل شيء، وجلست مع شيشتي، ودخاني، وأفكاري التي لا حدود لها، أحصي الأيام المتبقية في حياتي، وألعب لعبة خمن مع القدر.

وكلما توقعت زيارة ملك الموت لي في يوم ما من الأيام ليقبض روحي المتجهمة، وينجيني من مخالبهم، وتهيأت له نفسيا، وبدنيا، كان يمضي اليوم دون

أحداث حقيقية، وأحظى بيوم جديد، مكافأة من السماء على اللاشيء الذي أقوم به، حتى فتر اهتمامي تماما بأمر الأضواء، والأصوات الصارخة، والأحداث الدموية التي عاصرتها، وقتلي للغراب، بل مر علي وقت نسيتها فيه أو تناسيتها.

ولكن ليس كل ما ينساه المرء لا يدركه.

فبعد يومين آخرين عادت الأضواء والأصوات الصارخة لتقض مضجعي دون مقدمات، وبقوة كبيرة، وعنيفة، لدرجة أنه خيل إلي أن جدران غرفتي الخشبية تهتز بسببها.

بل كانت تهتز بالفعل.

وهذا أجبرني على سلوك سبيل آخر للمواجهة غير المباشرة، والتي تناسب شيخًا هرمًا مثلي، فرحت أبحث عن الآثار والمؤشرات، التي قد تخبرني أنه أبانوخ الجهنمي أو أحد أعوانه، فلسحرهم أثر وبصمة لا أخطئها.

ولكني لم أجد من الآثار إلا الطاقة السلبية التي تفوح من تلك الأعمال، والتي لا بد وأنني أبثها من حولي في كل مكان.

ربما استطاعوا إخفائها فهم أصحاب حيل كثيرة، وقدراتهم غير محدودة، ولن يعدموا وسيلة ليحققوا مأربهم مني.

أبانوخ يريد سجيني، يريد ابنه وولي عهده، وبالطبع يريد حياتي، وعودة كرامته المهدرة بعد أن هزم على يد بشري مثلي، وهو مطلب وثأر لن ينهيه مرور الزمن، أو حيادي عن طريق الظلام.

أنا انتهيت من كل هذه الأشياء الجهنمية، ونبذتها، وهي لم تنته مني بعد.

وعلى الرغم من فشلي في العثور على أي من تلك الآثار المزعومة، إلا أن إحساسًا غامضًا مخيفًا نشأ بأعماقي.

إنهم يحيطون بي.

حضورهم لا يمكن إنكاره.

طاقتهم النفسية السلبية تزعزع ثقتي بنفسي.

عودتهم ترهبني.

والثأر شاب لا يهرم، وأنا هرمت، ولم أعد قادرا على فعل ما كنت أمارسه ببساطة المشي فيما سبق.

وبضعفي الحالي لن أصمد في مواجهة حقيقية مع أضعف عابر منهم، وليس مارد غاضب كأبانوخ وأعوانه.

استعنت في النهاية بإحدى مخطوطاتي التي خططتها بنفسي منذ عدة عقود، ووضعت فيها أهم التعاويذ والعزائم وطرق العبور، بشكل مبسط وسهل لسرعة استخدامها عند الحاجة.

وباستخدام نوع غير معقد من السحر حصنت نفسي ببعضها، وخطت في ثوبي من الداخل حجاب حماية

غير متقن صنعته على عجل، طلبا لبعض الدعم النفسي، لا أكثر.

وقررت أن أرمي وهني وضعفي خلف ظهري، لأبدأ في حل طلاسم هذا اللغز المحير الذي استفز بأعماقي ذلك الشاب الجسور المغامر الذي كنته منذ زمن بعيد.

فكنت أجلس على أطراف أصابعي طوال الوقت متحفزا.

في قدمي حذائي، وعلى كتفي بندقيتي، ولساني لا يتوقف عن التمتمة بما تجود علي به ذاكرتي الواهنة من عزائم وترانيم وأذكار، منتظرا قدوم الأصوات الصارخة الملعونة، مع معرفتي التامة أن استخدام هذا المزيج من العزائم والترانيم والأذكار نوع من الشرك.

ولكني ألجأ لكل الأبواب الممكنة، فأنا في خطر عظيم لا يمكن تجاهله.

ولم تخيب توقعاتي هذه المرة، وأتت الأصوات كالعاصفة.

إلا أن ما أثار حفيظتي في هذا التوقيت بالذات، أنني ما إن أسمع الأصوات الصارخة، وأهم بالتحرك وبدء مغامرتي الليلية، حتى تخفت حدة الصراخ، وتنخفض الأصوات، وتتلاشى بسرعة كبيرة، ليعود الهدوء ليغرق كل شيء، وكأن المصنع لا يقطنه إلا الأموات، فأعود أنا بخفي حنين إلى مجلسي القديم، بمفاصلي التي تئن من مجرد التفكير في الحركة.

استمر هذا الوضع المثير للأعصاب لفترة من الزمن، وبدا من الواضح أن الأصوات تعابثني أو تتلاعب بي، أو تحاول أن تصيبني بالجنون، الذي أسكن حافته الآن.

وهذا جعلني أعود للتفكير في أعدائي، مستعرضا من آذيتهم من بشر ومردة وشياطين، وكيانات لا تصنيف لها، وكم التجارب المخيفة التي خضتها معهم، بحثا عن إجابة لأسئلة، لا إجابة لها.

ولفترة طويلة طفقت أستعرض معلوماتي عن كل منهم على حدة، لعلني أستطيع قبل فوات الأوان

تحديد هوية خصمي المجهول من آثاره، سعيا لأجد الوسيلة المثلى لمواجهته.

إن لكل منهم أثر وعلامة، يتركها عند حضوره، والأقدام ذات الحوافر ليست أثر مهم إلا لجيولوجي متمكن، لا ساحر سابق يطارده ماضيه، فنصفهم يمتلكون حوافر مماثلة.

الآن أدرك أنها كانت حماقة مني أن أنعزل في مثل هذا المكان المقفر البعيد عن العمران، وكل مظاهر الحياة، وسبل الهرب والنجاة.. فمصنع مهجور يقبع غافيا في منطقة نائية، هو المسرح المناسب لظهورهم، وشخص واهن مثلي هو الفريسة المثالية لهم، وهذا جعلني أتساءل:

-" ما الذي ينوي عليه غريمي الآن؟".

لقد توقفت عن ممارسة أمور السحر المعقدة هذه، منذ عقد كامل، بعد أن أصاب الوهن ذاكرتي، وأضعف جسدي استخدامي المستمر للسحر الأسود في

طقوسي الدموية، فهذا من الآثار الجانبية المعروفة لتلك الممارسات اللعينة، والتي علمتني أهم الدروس، وأقساها أنه لا شيء في هذا العالم بلا ثمن .

إنني لا أذكر آخر مرة حاورت فيها جني، أو استخدمت قدراتي الفائقة لصناعة عمل أو تعويذة أو تميمة، أو استنطقت جثة أو مومياء فرعونية، أو قمت بالعبور لجانب الظلام أو العالم السفلي، أو مارست الاسقاط النجمي، حتى الكوابيس التي تحمل وجه ضحاياي لم تعد تهاجمني منذ زمن بعيد.

إذن ما تفسير سماعي لهذه الأصوات، والأضواء، والمشاهد الدموية المقززة التي تغرق عالمي.

أهو الخرف، أم هي علامات حقيقية، تنذرني باقتراب الموت ؟

فهل موتي سيكون معقدًا لهذه الدرجة ؟

بالطبع لم أجد إجابة شافية، وإن كنت أعلم أن ما قمت به من أذى عبر حياتي يستحق نهاية شنيعة.

فمن في بلدتي والبلدان المجاورة لم يحظ بجزء من سمومي ولعناتي، ومن قبل سموم جدي وأمي، فنحن عائلة تمارس السحر عبر الأجيال، كما أننا اقتنصنا ريادة السحر، بالدم.

الشيخ جمال رضوان.

اسمي وحده كان يجعل القلوب ترتجف، والعقول تتشتت، والإناث تجهض.

الشيخ جمال رضوان قبل عشرة سنوات، كان علامة فارقة بين كل ممارسي السحر الأسود، وكل العابرين إلى العالم السفلي.

الشيخ جمال الذي كانت ترتج الأرض لخطواته.. يجلس في غرفة خشبية بمصنع مهجور، يرتجف من مصير غامض سعى طوال عمره ليتجنبه.

أنا الشيخ جمال رضوان ..

فكيف ساءت الأمور لهذه الدرجة؟!

من من أعدائي لديه القدرة على هزيمة حزام يائيل؟ من يضحي بأحد أعتى أسلحة الأرض لينتقم مني ؟

- " جماااااااااااااااااااااال... جماهههههااااااال... جمممممماال".

انقبض قلبي عندما سمعت اسمي يتردد على لسان غريمي المجهول، فتلفتُّ حولي في رعب، و هنا أضاء البرق المكان، ثم دوى الرعد.

فهل ستمطر في الصيف أيضًا؟

هم قادرون على فعلها على كل حال.

(3)

سماعي لاسمي وسط الصراخ والبكاء والعويل كان صدمة كبيرة في البداية، لأن جزءًا أحمقًا من عقلي كان يحاول ألا يربط بين ماضي الأسود، وكل ما يحدث من حولي، لأن النتيجة في النهاية ستكون وبيلة.

بل وحاول وبكل سذاجة أن يخبرني أنها مجرد أحداث خارجة عن الطبيعة، ولكن لا علاقة لها بماضي الدنس.

وجاء ذكرهم لاسمي لأتأكد كم كنت أحمقًا.

لم يذكر اسمي إلا مرة واحدة، فواصلت خداعي النفسي، وادعاء كون التهديد مجرد وهم، واستغللت فترة الهدوء التي تلت ذكر اسمي بتلك الطريقة الممطوطة المستفزة، في أن يذهب روعي، وقبعت في غرفتي أنتظر ما سيسفر عنه المساء، فهذه الأصوات لا تظهر عادة إلا بعد هبوط الظلام.

وساعدني في قطع الوقت ذلك الكتاب القديم السميك ذو الأوراق الصفراء، والذي لن تخفى عليكم نوعيته، والذي كان يحمل عنوان (الغامض والنفيس في الكشف عن سحر الجان والتدليس) لأبي لؤلؤة العامودي، أحد السحرة الكبار الذين تتداول مخطوطاتهم في سرية تامة بين عدد محدود من صفوة المهتمين بهذه العلوم المحظورة .

وهو مرجع قيم جدا لكل من يستخدم السحر في استحضار الجان، أو التواصل مع الكيانات القديمة التي كان يقوم الجان باستحضارها، أو اكتشاف الثغرات بين العوالم.

بل وبه من العلم ما يمكن استخدامه لكشف كل ما يخص علامات النجاح والفشل والمؤشرات التي تدل على حضورهم أو انصرافهم.

وبحثت أنا فيه بجد مستعلما عن حضور ما تسبقه تلك الأصوات الصارخة، والأضواء الجنونية، والمشاهد

الدموية، دون أن أصل لشيء محدد يعينني على ما أنا فيه من جهل، أو ينير لي ولو ثغرة في ظلام الطريق.

استغرقت في قراءة الكتاب ساعات النهار بالكامل، وعندما غطى الليل كل شيء بمعطفه الداكن، بدأت الأصوات لحنها الصارخ النائح.

وما لاحظته وقتها، أن الأضواء الهستيرية غابت عن المشهد، كما أن هذه الأصوات الجهنمية قد كسرت روتينها الثابت، وأطالت فترة نواحها فترة أكبر من المعتاد، بل وأخذت بالتصاعد بشكل مؤلم، كادت معه أذناي أن تنفجران، قبل أن تعود لسبب غير مفهوم إلى الهدير المنتظم.

كل هذه التطورات جعلتني أتردد في الخروج من غرفتي هذه المرة، وأنا أتخيل أن هناك معركة حامية الوطيس تدور رحاها في ساحة المصنع الداخلية المهجورة التي لم تطأها قدم بشر منذ سنوات، بين مخلوقات غامضة عملاقة لا تتوقف عن الصراخ،

والنواح، والخوار، والحشرجة، والبكاء، والاستغاثة، والأنين.

وزاد من ترددي وتوتري، الطنين، ووجع أذني المتصاعد، وأنا أنصت إلى الأصوات الصارخة المتشابكة التي تصطرع بالخارج، فجلست على الأريكة وقلبي يدق في عنف وكأنه على وشك التوقف من تلاحق الأحداث. وأنا أتلمس الأمان من بندقيتي العتيقة، بيدي التي ظهر على جلدها المتغضن قرح الشيخوخة، لأشعر بارتخاء شديد في عضلات ساقيّ، وألم حاد في عظامي، ليقع بصري على علب الدواء المتناثرة بعشوائية في كل مكان.

لأتذكر أني نسيت تناول أدوية الأعصاب، والخشونة، وتصلب المفاصل لليوم الثالث على التوالي.

ضعف ذاكرتي أصبح جليا، وينذر بكارثة محققة، وهذا يخبرني أني ذات يوم سأستيقظ ناسيا من أنا أو ماذا أفعل في هذه الحياة، وسبب وجود هذه الأدوية في غرفتي.

تناولت من فوق إفريز النافذة الذي طاله بعض الأذى نتيجة اصطدام قطع الأثاث المهشمة به، القلة الفخارية التي نجت لسبب ما من الإعصار السابق نتيجة التعويذة التي استخدمتها في قتل الغراب، نذير الشؤم والخراب.

وجمعت في يدي حبة دواء من كل علبة، وابتلعتها مرة واحدة بالماء البارد، وكدت أشرق وأختنق بها عندما ميزت بين الأصوات الصارخة والمتألمة من يصرخ باسمي مجددًا:

- " جمااااااااااااااااااااال... جماهههههاااااال... جمممممماال".

لبرهة من الزمن قررت أن أتجاهل الأمر، فالأصوات عاجلا أو آجلا ستخفت كما يحدث في كل مرة، وسيعود كل شيء لطبيعته، ولا داعي الليلة لمغامرة غير محسوبة لا أضمن نتيجتها.

ولكن عقلي المزعج عاد يعمل ويقلقني، فماذا لو كان من يصدر عنهم هذه الأصوات مجموعة من اللصوص يعرفون تاريخي مع الأمور الغامضة؟ ويحاولون إخافتي كي لا أغادر المكان حتى ينتهوا من مهمتهم.

وهذا جعلني أفكر في شيء مرعب!

الأصوات لم تبدُ بشرية أبدًا.

لا توجد حنجرة على هذا الكوكب يمكن أن تطلقها دون أن تتمزق أحبالها الصوتية.

ناهيك عن الطاقة المخيفة التي تحيط بالمكان، والحضور القوي لذلك الشر المبهم الذي لم أستطع كشف سره حتى الآن.

وعلى أثره تخيلت أن الزمان عاد بجدتي، وها هي تحرك إصبعها المتغضن أمام وجهها محذرة، قبل أن تقول لي في لهجة متوعدة:

- "لا تخرج من غرفتك بعد هبوط الليل يا جمال، كي لا تلتهمك الغولة".

تعالت دقات قلبي على أثر التحذير الذي لم يخفت تأثيره رغم مرور الزمن، فأخذت أتلفت حولي في قلق، فالغيلان مخلوقات همجية تفعل ثم تفكر، وأنا أشعر بكوني أحمق كبير، فحدثت نفسي قائلا:

- " أي غولة تلك التي ستلتهمك يا جمال وأنت في مثل هذه السن. إنها ستقدم لك خدمة العمر لو فعلت، ستريحك وتريح العالم منك. قم أيها الكسول ودافع عن مكان أكل عيشك، لا أحد سيسامحك لو سُرقت محتويات المصنع، فحتى لو لم تعد آلات المصنع الصدئة المتآكلة تعمل، فمازالت ذات قيمة كبيرة، ومطمع للعديدين، فلو بيع كل ما به كخردة لحقق ثروة، أنت تحرس كنزًا أيها الجبان".

وساعتها فار الدم في عروقي وقررت أني لن أسمح لأحد أن يعبث بي، أو يفسد علي عزلتي، علي أن أبذل

مجهودًا أكبر من تدخين المعسل وشرب الشاي، والقراءة.

علي أن أثبت للدخلاء مهما كانوا أنني ما زلت الشيخ جمال.

وبكل غضب ونقمة، نحيت الكتاب الذي كنت أقرأ فيه جانبا، وأحكمت نظارتي على أنفي، وغادرت الكشك الخشبي الذي أصبح بيتي، ومكان عملي، وكل ما لي في هذه الحياة، وأنا أتوعد العابثين، معلقا بندقيتي القديمة على كتفي، حاملا بيد مرتعشة مصباح الكيروسين القديم، تاركا خلفي الأمان والدفء، متوجها إلى ساحة المصنع، حيث تتلاطم الأصوات الهادرة التي تكاد تصم الآذان.

ومن وسطها سمعت نفس الصوت الموتر للأعصاب:

- " جماااااااااااااااااااال... جماههههااااااال... جمممممماال".

في شبابي، مهما كان مصدر هذه الأصوات، كنت سأجعله يأتي إلي راكعا، يترجاني أن أصفح عنه، ولم يكن ليحركني من مكاني شيء بهذه التفاهة، ولكن المجبر والمضطر يفعلان المستحيل.

وأنا مجبر ومضطر.

قطعت المسافة القليلة التي تفصلني عن البوابة الخارجية، وأولجت المفتاح في القفل المغبر الصدئ، وحاولت معه عدة مرات حتى أطاعني وتخلى عن عناده، لأعبر إلى داخل الساحة.

وعندما وقع بصري على مصدر الصوت، هالني ما رأيت على ضوء مصباح الكيروسين المتراقص الذي كاد يسقط من يدي لولا تشبثي به، مع تراجعي خطوة للخلف من أثر المفاجأة.

لم تكن هناك مخلوقات هائلة الحجم تتقاتل، ولم تكن هناك ثيران، أو غيلان أو (ما جمع كلمة نداهة؟) تتصارع كما صور لي خيالي.

بل قطعان غفيرة من القوارض تتحرك وسط نهر من الأشلاء الدامية، لقطعان أخرى سبقتها، في مشهد جهنمي مقبض ومثير للقرف والاشمئزاز. لم تتحمله معدتي الهرمة، فتقيأت طعام العشاء الهزيل الذي تناولته منذ ساعة، وأنا أسب وألعن ساخطا، ضعفي وضعف معدتي، ووهني الذي جعل حثالة العالمين طامعين في.

إن وجود الفئران بداخل المصنع القديم شيء طبيعي، ولا يلفت الانتباه في المعتاد، فالمصنع مهجور منذ سنوات عدة كما أخبرتكم من قبل، و فكرة أن يحتوي بداخل مبانيه وآلاته على قوارض مثلها شيء أكثر من طبيعي، خاصة بعد أن مات صاحبه واختلف الورثة، وسافر معظمهم خارج القطر، ولم يعد أحد يعني به.

لقد اعتدت على وجود الفئران من حولي عبر السنوات، وصارت بيننا معاهدة سلام، فلا أنا أزعجها في أماكن تواجدها، ولا هي تقترب من حدود مملكتي.

كما اعتدت على وجود العديد من أنواع الحشرات والهوام المختلفة، التي ترتع في مثل هذه الأماكن المهجورة. ولم تعد تخيفني أو تثير اشمئزازي، مهما كانت هيئتها.

إنني أقترب في خطوات حثيثة من حدود الأبدية، وبدأت أعرف حقيقة الأشياء، والحكمة من ورائها.. فكون الفئران ذات شكل وملمس مقزز يثير غثيان البعض، هو أمر ليس بيدها، وكون البعض يمقتها ويخشاها ويعاملها بهستيريا هي مبالغة حقيقة.

الفئران في قناعتي تخيف الأطفال فقط، أو مرهفي الحس من الكبار، وأنا لم أعد أي منهما.

لذا لم أكن أتخيل في يوم من الأيام أن تلقي رؤيتها في قلبي كل هذا الروع.

وهذا جعلني أتابع في قلق عبور جحافلها من بين قضبان البوابة الخارجية المعدنية الكبيرة، وركضها الحثيث المتخبط، وقتالها المستعر لعبور باب المبنى

الرئيسي للمصنع نحو نقطة باهتة مضيئة بأعماقه لا تبدد أي شيء من عتمة الظلام خارجه، وهي ما تبقى من الأضواء الجنونية التي توارت هذه المرة.

لأدرك بقلب واجف، أن هناك شيء ما غامض لا أدري كنهه، يجذبها إلى هذا المكان الملعون، ويثير شهيتها للقتل.

رائحة السحر الأسود تغرق المكان، وهذا شيء لا يخفى على ساحر متقاعد مثلي، نشأ في منزل كل من فيه يمارسون فنون السحر الأسود بدرجات مختلفة.

المقلق هنا هو نوع السحر المستخدم!

سحر الدماء المدنس.

أبشع دروب هذا السحر.

فمن يستخدمونه عبر العالمين، هم أسوأ من وجدوا في هذه الحياة، لأنهم لا يلتزمون بأي قوانين أو أعراف، ولا رحمة أو شفقة في قلوبهم، لذا فأنا وإن

كنت مترددا في السابق في دخول المصنع المهجور قيراطا، فأنا الآن مترددا أربعة وعشرين قيراطًا.

ولذلك انتحيت جانبا كي لا أعترض مسار الفئران في ركضها العاصف ومخالبها الحادة الغارقة في الدماء التي تنهش بها بعضها بعضًا.

ففي سني هذه لن أتحمل إحدى وعشرين حقنة في جدار البطن، ولا أذكر أني طُعمت ضد التيتانوس، فاكتفيت بأن أتتبعها بعيني عن بعد لعلني أكشف سبب سلوكها الدموي العدواني، دون أن أضطر لدخول مبنى المصنع الرئيسي، حيث تقبع تلك النقطة الباهتة من الضياء كنار الجحيم، في انتظار من لبوا النداء من الحمقى.

أتأمل المكان من حولي في قلق.

الظلام أثقل من المعتاد، والأصوات لها صدى صوت عجيب يثير في النفس اليأس والقنوط.

الطاقة السلبية في المكان مروعة، وتؤكد أنه يخضع لنوع محرم من السحر.

فمتى دار هذا الأمر من خلف ظهري؟

وكيف لم أكتشفه مسبقا؟.

هل لهذا علاقة بكتبي المختفية، وعز الذي لم أره منذ فترة؟

هل خانني عز؟ هل؟

لا إجابة.

عدت لأرمق قطعان الفئران الصارخة التي تأتي جميعها من خارج المصنع، ومن اتجاهات عدة.. كانت تتحرك بفوضوية، وشراسة، وتهاجم بعضها البعض، ناثرة الدماء والأشلاء في كل حدب وصوب.

لقد تطهرت البلدة من كل فئرانها، وابتلي بها المصنع.

المشهد مخيف ومقزز إلى أقصى مدى. . كما أن أعدادها تزداد كثافة في كل ثانية تمر، وهذا جعل طوفان من التساؤلات المقلقة يغرق عقلي، ويستفز ذاكرتي الهرمة، التي لا تبتليني إلا بكل ما هو سيء.

لقد سمعت قديما في الراديو قصة عازف المزمار، الذي كانت تتبعه الفئران، وشغفت بقدرته الخارقة هذه - بل وكنت أمتلك تعويذة مشابهة لتأثيرها، لا يستحضرها عقلي الآن - خاصة عندما حولها لقدرة سحرية، وعن طريقها اختطف كل أطفال القرية.

فهل ينتهي دور الفئران في المصنع ليأتي دور البشر؟!!

للحظة وقر في أعماقي أن هذا هو الحل الوحيد للغموض المحيط بي، وتلك الأحداث العجيبة التي تطاردني منذ بدأت الأصوات نحيبها، ولكني لم ألمح العازف في المكان أو أسمع عزفه.

كما أن الفئران في القصة التي بثها الراديو منذ زمن بعيد، كانت مسالمة، ولا حول لها ولا قوة، يسحرها

العزف فتتبع صاحبه، ليغرقها في النهر، ويخلص الناس من شرورها.

أما هنا فالعزف الوحيد الذي أسمعه هو صوت دقات قلبي المضطربة.

والفئران هنا تلتهم وتهاجم بعضها في شراسة، مما جعل خيالي الذي توقف منذ زمن يستثار فأتخيل نفسي بين أنيابها.

هي نهاية شنيعة، لن أقبلها أبدا، فأن تنتهي حياتك في بطن قارض مقزز كهذه الفئران، هو شيء مخيف ومقرف.

تأملت الساحة المظلمة التي يكافح مصباح الكيروسين لإضاءتها، ودقات قلبي ترتفع مع وتيرة أفكاري التي تفوق الظلام المحيط بي سوادا، وأنا أتقدم في تؤدة، أقدم قدمًا، وأؤخر أخرى، متلفتا حولي متوقعا هجمة غادرة من عدو مجهول لن يرحمني، كما لم ترحم الفئران بعضها.

أتأمل المجزرة المروعة الدائرة أمامي، متجاهلا أصوات الصراخ والتمزيق والألم، متحسرا على الفوضى التي تضرب أطنابها في كل مكان.

فلم أكن أتخيل حتى في أسوأ كوابيسي، أن يأتي علي وقت عندما ينجلي كل شيء - على فرض نجاتي هذه الليلة - وأضطر لتنظيف ساحة المصنع المنتهكة من أشلاء الفئران، وأحشائها المنفجرة التي تناثرت في كل جزء منها، وخضبت أرضيته المتربة بالدماء، والتي لاحت لعيني كبركة داكنة راكدة مع ضوء مصباح الكيروسين الكابي.

الفكرة وترتني أكثر من مواجهة حية تتم بيني وبينها.

الرياح الباردة الكئيبة تصفع بدني وعنقي، فأقوم بإحكام معطفي حول جسدي المرتعش، وأعدل من وضع الكوفية حول عنقي المتصلب. وأتحسس بندقيتي العتيقة التي نسيت كيف أستعملها منذ زمن بعيد.

ألم تلاحظوا أنه بعد البرق والرعد.. عم الصقيع المكان.

لو لم تلاحظوا فقد حدث.

لا أمطار..

لا ثلوج..

فقط انخفضت درجة الحرارة في المكان بشكل مخيف، لابد أنها تخطت الصفر إلى سالب مائة، وأخذت تصفع جسدي كسهام حارقة.

فكرت بالرجوع إلى غرفتي الخشبية الهزيلة، والتحصن بها، فالأمر كما أراه يفوق قدراتي النفسية والجسدية والعمرية، بل وحماستي الفاترة للقاء عدو يتربص بي، ويفوقني قوة آلاف المرات.

إنني غير راغب في خوض معركة خاسرة مع حالتي المتردية هذه!.

ففي الصباح وفي أسوأ الأحوال، فإن هذا القطيع الذي لا ينتهي من الفئران سيفني بعضه، كما التهم الكلب أحشاءه، والمرأة قصيرة الشعر غريمتها طويلة الشعر، وساعتها سيمكنني التعامل مع ما تبقى منها بشراء كمية كافية من السم للقضاء عليها.

فأنا أريد أن أشتري راحة بالي، وأقضي الأيام المتبقية لي في هذه الدنيا دون أن يكون هناك من يصرخ في أذني أو يتشمم أصابع قدمي استعدادا لقضمها أثناء غفوتي ليلا.

إن هذه المهمة المقززة تحتاج لشاب وافر الصحة، ربما لو تزوجت وأنجبت لكان هناك من يقوم بهذه المهمة عني.

ولكني على استعداد تام لمواجهة قبيلة كاملة من الجن، وقطيع كامل من هذه الفئران الدموية، مصارعا أنيابها، ومخالبها الحادة، ولا أواجه امرأة امتلكت حياتي بعقد زواج، واثنين من الشهود.

أحزنتني طريقتي في التفكير، فمازال قياسي للأمور قاصرا، ومازلت أفكر كحارس مصنع، لا كساحر قدير سابق.

إن نقاط ضعفي الآن هي وهن جسدي وذاكرتي، ولدي من الطرق والوسائل بين دفتي كتبي ومخطوطاتي، ما يمكنني من التغلب على هذا الضعف.

ولكنه القسم الذي أقسمته أمام قبر شقيقتي سعاد، وابنتها فاطمة.

أنا أسعى للموت لا للحياة.

ولن أمارس السحر مجددا مهما حدث.

كان استخدامي له مع الغراب غلطة مريبة، ولحظة ضعف لن تتكرر.

قطع أفكاري أن لمحت قطًا مشاغبًا قاده حظه العاثر ورائحة الدماء إلى ساحة المصنع المهجور، ولم يتخلل ظهوره المشهد إلا لحظة واحدة فقط، بعدها تمزق

جسد هذا القط المنحوس إلى أشلاء على يد الفئران، قبل أن يتمكن حتى من المواء أو الصراخ.

هذا المشهد بالذات أفزعني كثيرا.

أن يتحول الصياد الغافل إلى فريسة، فيتم التهامه في غمضة عين.

وأنا منذ زمن في غيبوبة تامة عن كل ما يحاك بداخل المصنع، لم أكن أحرسه بشكل فعلي، عالمي كله كان غرفتي، ومع مساحته الكبيرة، لو تسلل قطيع من الأفيال من مدخله الخلفي لما شعرت به، ومن المتوقع جدا أن أكون أنا الفريسة التالية، التي يقام لها هذا الحفل الدموي.

الفرار من المكان هو أسلم حل..

أضغط على قدميّ لتتحركا..

البرد يقذف عظامي بعشرات الأسهم المؤلمة.

أستدير لأركض هاربا و...

- " جمااااااااااااااااااااال... جماهههههااااااال... جمممممماال".

عاد الصوت المقبض الصارخ.. عاد ليخبرني أن قرار الفرار والعودة لغرفتي -وهو القرار الوحيد الصائب في هذه الليلة - قد تأخر كثيرا.

تشبثت ببندقيتي التي تشبهني في هرمها وضعفها، والتي أنا موقن من أنها لن تعمل - ولو على سبيل المجاملة - لو واجهت خطرا محققا، وهو قاب قوسين أو أدنى مني كما يخبرني حدسي.

كما أن مثل هذا السلاح لن يصلح لما أواجه كما أخبرتكم، لو كان الأعداء من خارج عالمنا، وهم كذلك دون الحاجة لتفكير أو ذكاء من نوع خاص، الإنكار يعد دربًا من الحماقة الآن.

الأصوات والنداء، لا تشبه أساليب أبانوخ الجهنمي أو أي من أعوانه.

ولكن تغيير الأساليب جائز جدا، ولكل زمن أسلحته، وربما هو فخ محكم لجذبي إلى حيث أذهب بحماقتي الآن .

هل كنت خائفا؟

بل كنت مذعورا لو أردتم الدقة. وهذا ضرب ثوابتي، ومسلماتي في مقتل.

فقد كنت أعتقد منذ أسابيع قلائل، أن مثل هذه المشاعر قد اختفت من عالمي نهائيا، مع يقيني الكامل بقرب الموت مني، واحتكاك مخالبه بي في كل حركة أقوم بها في أيامي السالفة.

إنني الآن لا أخاف الموت، بل طريقة الموت، والمجهول المتربص بي.

إن تحطم كل عظمة في جسدي بمطرقة صدئة لن يكون أهونها، وإجباري على التهام أحشائي كالكلب لن يكون عقابها الوحيد.

فهل سأستمر في حماقتي وأتقدم أكثر.

بالطبع لا.

وفي هذه اللحظات الحرجة لم أجعل خوفي أو توتري يفقدني تركيزي أو حكمتي، فهممت أن أشمل قراري بالنفاذ، وسلوك طريق العودة، عندما اجتاحت جسدي تيارات غريبة من الكهرباء الإستاتيكية، جعلت قشعريرة باردة تغزو عمودي الفقري، وعلى أثرها وقف ما تبقى من شعر جسدي كله، وكأنه ينجذب لمغناطيس قوي.

لقد خضت تجربة مشابهة في شبابي، عندما تسلقت أحد أعمدة الضغط العالي، لأحضر جثة عصفور صعق بالكهرباء كنت أحتاجه لإنفاذ أحد أعمالي السفلية، وكان هذا قبل أن أتقن السحر بشكل كامل ويصبح لدي مساعد مكلف بمثل هذه الأمور.

ولكن لا يوجد في الجوار أي مصدر للكهرباء ناهيك عن عمود ضغط عالٍ، فعن ماذا تنتج كل هذه الطاقة؟.

الأمر يتخطى السحر والتعاويذ لشيء أقوى وأخطر.. إن هذا الكيان صاحب الحضور، لا يمكن أن ينتمي لعالمنا أو لعالم الجن، دون شك، لقد أتى من مكان مظلم، ووحشي، وأكثر سوادا.

وما أشعر به الآن ، هو أثر حضوره الطاغي.

الكهرباء الإستاتيكية تزداد قوة. . أشعر بخلايا جسدي تتخدر.. ألمح كتلة من الظلام تتحرك، ثم يعود السكون لكل شيء. .

أكذب عيني، ثم أتساءل: متى يتوقف هذا العبث؟

الصراخ يتعالى..

الاضطراب يسود المكان.

شيء ما يحدث لا أره، وهو الذي تسبب في أن هاجت جحافل الفئران التي لم تهاجمني بعد - لسبب أجهله - وأصبحت تصرخ في جنون وتهاجم بعضها البعض في

ضراوة، وكأنها تتقاتل على من يفوز بالغنيمة أولا، وهذا جعل جذوة الفضول تزداد توهجا.

ماذا يوجد بداخل المصنع؟

ما الذي غفلت عنه مع وهني ومرضي ؟

وبصوت غاضب قلت:

-" سأقتلك بيديّ هاتين يا عز، لو كان لك دخل في ما يحدث".

إنني أعلم أن وجود الفئران بأعداد كبيرة في أي بيت، يعني أن البيت مسكون، وأن أهله مصابون بمس من السحر، ينطبق هذا الكلام على الصراصير أيضا، ولكني لا أرى أي منها الآن حولي.

ولو حق هذا الكلام، ومع كل هذه الأعداد غير المسبوقة من الفئران، فلابد أن كل جني في الجمهورية قد قرر القدوم إلى المصنع اليوم.

أقدامي متصلبة، وكأنما ثبتت بغراء قوي إلى الأرض أمام الباب الخشبي الكبير الذي كان يغلق المدخل الرئيسي للمصنع، والذي مزقته الفئران إربا في طريق دخولها.

الفضول يحثني على التقدم أكثر لكشف الحقيقة الغامضة، ومشهد الأشلاء المتناثرة في كل مكان حولي، حائط سد منيع أمام رغبتي وفضولي.

إلا أن ما شجعني على التقدم بعد مرور عشرة دقائق كاملة، أن عدد الفئران الصارخة قد قل كثيرا، وإن أصبحت أكثر شراسة وعنفا.

وما ثبتت عليه، وكأنه تم تلقينها إياه، أنها تهاجم بعضها فقط.

لابد أن موعد الفتك بي لم يحن حتى هذه اللحظة.

أنا في مأمن حتى الآن .

الشيء الذي أثار دهشتي أكثر بعدها ، هو مشهد ذلك الفأر الذي فقد نصفه الخلفي، وأخذ بعدها يقاتل في استماته، كي ينفذ من الباب بقائمين أماميين فقط، وخلفه تتدلى أحشاؤه الممزقة صانعة خطًا متقطعًا من الدماء.

تابعت في دهشة رحلة الفأر العجيبة، وكدت أهتف له لتشجعيه على إكمال مهمته، ولكنه نفق على عتبة الباب، وفشل مسعاه في النهاية، بعد أن تسربت من جسده الحياة.

- " أي نوع من السحر الملعون يسيطر على هذا المكان ".

قلتها وأنا أضغط على ذاكرتي لتستعيد بعضًا من العلوم السحرية المطمورة بداخلها، محاولة مني لتحديد هذا النوع الخارق من السحر الذي يحيط بالمصنع المهجور، دون جدوى.

دقائق أخرى مرت، وأنا على وقفتي، غارق في عالم من الخوف والتردد، لم أنتبه إلى أن الصمت قد ساد

المكان، وأنني أتطلع إلى الظلام على غير هدى، وأن الأصوات الصارخة تحولت إلى أنين مكتوم يأتي من داخل مبنى المصنع الرئيسي نفسه.

والمختلف هذه المرة أن الصوت اختلط بصوت استغاثات نسائية واضحة.

وهذا حفزني أكثر على المضي في طريقي، لإنقاذ من يمكنني إنقاذه، وفي رأسي تسطع فكرة مروعة، أن الحفل الخارجي انتهى.

وبدأ الحفل الداخلي.

(4)

تأملت بقايا الباب المشرع أمامي، وأنا أستعيد ذكرى قديمة باهتة.

لقد قمت بإحكام هذا الباب بنفسي ووضعت له قفلًا إضافيًا منذ عقد كامل، وكان هذا آخر عهدي بالمصنع.

وبعدها كمنت في ذلك الكشك الخشبي الذي يقبع بجوار بوابته الخارجية طوال السنوات الماضية، بعد أن نقلت إليه فراش صغير وموقد كيروسين، وانقطعت عن العالم بعد أن دفنت ماضيّ ومعظم كتبي ومخطوطاتي وخطاياي، في مكان نائي بداخل ساحته الخلفية.

وقررت أن أعود للطريق القويم، بعد أن يئست من الحصول على الإجابات التي كنت أبحث عنها، وبعد أن وهن عقلي وفقد جسدي قوته، ومن قبلها أقرب الناس لي.

كانت حادثة شنيعة منعت عقلي من استعادتها بصعوبة، فروحي لا تتحمل ردة الفعل الناتجة عن تذكر هذا الحدث المفجع..

وما أنا موقن منه أنه لم يدخل أحد بعدي المصنع، ولم أدخله أنا بعدها، كما أني لم أغادر موقعي من حينها، ولم أرصد متسللين إلا مرة واحدة.

كانوا مجموعة من الشباب الضائع، الذين ذهب بعقولهم المخدر، وقد اختطفوا فتاةً ممن يطلق عليهن فتيات الشوارع وأرادوا استخدام مبنى المصنع المهجور في التناوب على اغتصابها، وقد نالهم مني من الأذى وقتها، ما سيجعل فكرة التعدي على أي فتاة أخرى ذكرى مؤلمة، بعد أن فقدوا جميعا رجولتهم بسحري.

كانت المرة الأخيرة التي استعملت فيها السحر الأسود، ثم بدأت عزلتي، وأصبح الرابط الوحيد بيني وبين العالم الخارجي، مساعدي عز العربجي.

الذي صار مع الزمن صديقي الوحيد، وجعل على عاتقه أن يقبض راتبي من البوسطة، ويحمل لي أخبار العالم الخارجي، وأخبار من مات، ومن تزوج، ومن زج به في السجن، ومن رحل من بلدتي القديمة ومن أتى إليها.

وهي أخبار بت أتابعها بشغف رغم تكرارها، ورغم قدراتي السابقة على معرفتها دون أن أتحرك من مكاني.

ولكن هذا الزمن قد ولى منذ عهد بعيد.

في السنوات العشرة الأخيرة، أصبحت حياتي هي مزيج من انتظار الموت، ولقاء عز، الذي لم يناقشني ولو مرة واحدة في أسباب هجري لهذا العالم والناس، كان أذكى أو أخبث من أن يفعل.

وكثيرا ما كان يأتي عز إلى غرفتي في الليالي الصافية، لندخن معا بعض الحشيش، والذي كان يفقد جودته بمرور الزمن.

أنا لست مدمنا مثله لهذا الهباب ، ولكني لا آنف من تعاطي بعض الأنفاس، التي تمنحني بعض الراحة من آلام عظامي، وأعتبره بيني وبين نفسي علاجًا أو مسكنًا قويًا.

وها أنا بكل حماقة أتوجه نحو خطر واضح وصريح، لا يخفى على طفل بكونه فخ قاتل، دون وجود مرافق أو سلاح حقيقي، أو من يحمي ظهري ويدعمني.

وعز العربجي ببنيته العملاقة القوية يمكن أن يقوم بهذا الدور بكفاءة، ولغبائي الشديد لن أنتظر قدومه الذي تأخر كثيرا هذه المرة.

وهنا اختلقت لنفسي سببا!!

المرأة المستغيثة بالداخل بحاجة إلي!

متى كان هناك من هو بحاجة إلي، ومتى اهتممت من الأساس؟ الجميع برغم لجوئهم إلي كانوا يكرهونني، وهي ضريبة الاحترام.

في سلتي لم يكن هناك إلا السحر، والخوف، والأعمال السفلية.. بضاعة رائجة أتقنت توزيعها، ومقابلها كنت أستخدم أحلامهم، ورغباتهم، وأجسادهم لتجاربي الملعونة.

في مقبرة القرية يقبع هناك تحت عشرة أقدام من التراب ثاني أسوأ أعمالي.

ابن أبانوخ الجهنمي، أحد أخبث الشياطين المغضوب عليهم، يقبع مسجونا هناك، في صندوق مطلسم من النحاس والرصاص. يعاني الألم والوحدة والمنفى، والموت البطيء.

لأن أباه الحاكم في عالمه رفض بغرور من هو في مكانته، أن يقدم فروض الولاء والطاعة لبشري مثلي.

إنه أقرب من يمكن أن يحدث الضرر، أو يكون مسببا رئيسيا لما أعانيه الآن.

الحضور المخيف شتت كل أفكاري، وجعل الاحتمال السابق يتضاءل في عيني، فبرغم قوة أبانوخ وبأسه،

إلا أن ما أرصده يتعدى قدراته، ولا أعتقد أنه حتى هذه اللحظة قد شفي مما أصبته به.

الأمر محير، ولن ينجلي هذا الغموض ببساطة.

استغاثة المرأة تتكرر فأهز رأسي في فهم..

هذا هو طرف الخيط الوحيد المتوفر الآن.

أعادت استغاثة المرأة ذكرى من فقدتهم، فأقسمت في قرارة نفسي، أنني لن أتركها خلفي كما تركت آخر أفراد أسرتي منذ سنوات بعيدة، للموت والألم.

إنني على وشك مغادرة هذا العالم لعالم آخر بمقاييس مختلفة، وإنقاذ المرأة، ربما يكون هو العمل الصالح الأخير قبل موتي، والذي سيشفع لي، لو كافأني القدر بموت سريع.

كما أن شيئا ما في أعماقي يخبرني أنها الليلة الموعودة التي سأكتشف فيها سر المصنع، وتلك الأحداث الجهنمية التي تدور بين جدرانه.

ما كان يثير فزعي فقط، هو مشهد المطرقة الصدئة وهو يهشم وجه المرأة طويلة الشعر، ويفتت عظام فكها، ويبتر لسانها.

فتلك المرأة قصيرة الشعر لم أر جثتها بعد، وربما تكمن لي في مكان ما بالداخل، والتهامها لي حيا يفوق أبشع كوابيسي بشكل مرعب، فأصبح كمن يهرب من الرمضاء إلى النار.

لا مجال للتردد الآن.

تقدمت ثلاث خطوات ثم تنبهت إلى ما تدوسه قدمي، وإلى الأصوات الجديدة المفزعة.. حذائي الثقيل كان يهرس العشرات من الصراصير، التي اتخذت من وجهة الفئران مكان لتحج إليه وتتجمع فيه.

يا إلهي .. أما زالت هناك هوام أخرى آتية؟!

الصراصير.. بنات وردان .

هكذا يطلقون على الأنواع المنزلية منها، وهي كائنات كريهة جدا، أتقزز منها أكثر من الفئران.

تصلبت قدماي لوهلة، ثم قررت الهرب من أمامها، خاصة وقد لمحت قطيع الزواحف الجديد، والذي بدأ يلتحم معها في معركة غريبة.

عشرات من السحالي تقترب بسرعات استثنائية، لتلتحم مع أسراب الصراصير التي كانت تتفجر بين أنيابها، في مشهد شنيع.

وبكل ما سكنني من هلع هرعت نحو مبنى المصنع، وقفزت درجاته اثنتين اثنتين، وأنا أشعر بعظامي تئن من الوجع.

وفي لحظة واحدة كنت بداخل المكان الذي أحمل له كل الرهبة.

- "طررررراخ".

- "كليك"

كانت صدمة شنيعة أن الباب الذي مزقته الفئران إربا أمام عيني منذ دقائق، ولم يعد يصلح لأي شيء في العالم، قد عاد بكل بساطة وكأنه جديد، وحبسني في الداخل. ليفصلني عن العالم الخارجي.

قلبي ينبض بعنف وقد بدأت أفكر أن عودة الباب ليست شيئا سيئا كليا، فإن كان فصلني عن العالم الخارجي، فقد أبعد عني أيضا أسراب الصراصير التي أتى بعضها طائرا، يتبعها، قطعان السحالي والأفاعي والثعابين التي كانت تتحرك كالريح. وإن كنت لا أعرف لمتى سيصمد الباب الجديد أمامها، قبل أن تتخطاه كل هذه المخلوقات التي جن جنونها، لتحظى بجائزتها العجوز.

ارتجف جسدي من الفكرة، ومن برد المكان ومن الأحداث العنيفة المتلاحقة، ومعه ارتجف المصباح في يدي فوضعته جانبا، فلم أعد بحاجة إليه مع الضوء الغامض الساطع، الذي كان يتسرب من أسفل عتبات الغرف، ومن كل منفذ أو فتحة في المكان ليسقط على المكابس وأدوات القطع والضغط ناثرا حولها الظلال،

لأرى بينها أشلاء الفئران، وقد صنعت مسارا واضحا نحو المجهول الذي ينتظرني، ومن بينها تتسرب الصراصير التي بدأت لسبب غامض تنقلب على ظهورها، وتسلم الروح.

كل الحجج التي سقتها لنفسي لأدخل هذا المكان الملعون قد تبخرت مع الخوف الذي اعتراني.

أمات الخوف الفضول ووأد شهامتي التي أججتها صرخات المرأة الغامضة، والتي لم يظهر لها أثر بعد، واستدرت لأهرب، عندما.

- " جماااااااااااااااااال... جماهههههاااااااال... جممممماال".

أنصت وكل خلية في جسدي يعتصرها الهلع، عندما التقطت أذناي كلمات أخرى، بدلت تفكيري تماما.. فالصوت لم يكن يقول جمال بتنويعات مختلفة كما كنت أعتقد، بل كان يقول بصوت شيطاني جهنمي مقبض:

- " قتااااااااااااااااااااااااال... قتاهههههااااااال... قتتتتتتاال".

وهنا تذكرت تلك الليلة السوداء، التي قمت فيها أنا وعز بتحضير، ماردة الثلاثة عشر يوما .

إنها هي لا شك في هذا، فالجهنمي لا يمتلك مثل هذا الذكاء أو القوة..

لابد وأنها تحررت من سجنها الأبدي الذي وضعتها فيه..

لابد وأن تدمير حزام يائيل قد أفسد سحري وستعود بكامل حقدها وشرها...

ولن يوجد على الأرض من يكرهني مثلها..

ومن سيرغب في تدميري وتعذيبي وإذلالي كما ستفعل.

الماردة

(5)

الليالي السوداء.

لا مؤشرات مؤكدة على كونها ستصبح كذلك..

فقبل الكوارث والمصائب الكبرى كل شيء يبدو عاديا، وطبيعيا، ومملا، إلى درجة مثيرة للأعصاب.

لذلك كان عز العربجي يتحرك بعربته (الكارو) في بطء ولا مبالاة، وهو يصطحب معه تلك الفتاة النحيلة قسيمة الملامح ذات الأحد عشر ربيعا، والمصابة بالتوحد إلى بيتي القديم على أطراف البلدة.

بالطبع كان لي بيتا قبل أن أنعزل في المصنع المهجور، بل عدة بيوت لو أردتم الدقة فمهنتي هذه مربحة جدا. والجميع يدفع فيها المطلوب دون فصال. حتى الفقراء يحرصون على الدفع لأمثالي.

ما حظيت به من أراض وأموال وهبات، جعلتني أثرى أثرياء البلدة، هذا غير ما عثرت عليه من كنوز أثرية،

هرَّب جزء منها مافيا الآثار الدولية إلى الخارج، وحصلت أنا على ثمنها بالجنيهات الذهب، التي ترقد مع باقي كنوزي الأثرية في مخبأ سري لا يعرفه غيري، محصن بعشرة تعويذات مختلفة.

أقلها قوة قادرة على تحويل من يقترب أو يحاول اقتحام المكان، إلى كومة من الرماد المحترق في غمضة عين.

لن يتخيل أحدكم يوما مقدار ما حزته من ثراء وسلطة، ولن يصل بأحد الخيال ليقارن الشيخ جمال رضوان بقوته وسطوته، بعم جمال حارس المصنع الهرم الضعيف.

فبعد الحادثة التي فقدت على أثرها شقيقتي سعاد، ورضيعتها فاطمة التي كانت تحمل اسم أمي الراحلة، كانت التحولات معي أعظم من الخيال.

صرت أقسى وأكثر دموية، وكأنني كنت أثأر من العالم لموتهما.

وصرت أجمع الأموال والآثار، وكأنني سأعيش إلى الأبد، حتى حدثت الحادثة الكبرى.

وبعدها اعتزلت أنا كل الناس وكل شيء، ولم ألمس من وقتها قرشًا حرامًا واحدًا، وعشت على مرتبي الهزيل الذي يكفي بالكاد لطعامي ودوائي.

وهذا ليس الشيء المهم الآن، فمراحل توبتي، وهي لا تخص سواي، البداية هي المهمة.

والبداية كانت مع عز في ذلك اليوم البعيد المحفور في ذاكرتي كنقش على الصخر، والذي استغل فترة الظهيرة، والتي تتعامد فيها الشمس على البلدة بشكل مباشر، فهرب منها الجميع ليقبعوا في بيوتهم أسفل المراوح، والتي حفزت العمال في الحقول على غير العادة ليؤجلوا أعمالهم لليوم التالي مهما كانت أهميتها، للظفر بدش بارد سريع بعد العودة إلى منازلهم.

الجو القائظ الحار كالليل.. ستار كما يقولون.

استغل عز كذلك عربته ذات الصندوق البدائي المغلق المصنوع من الأخشاب غير المتناسقة، والتي يجرها بغلان في إتمام مهمته.

وهو لم يخفق في مهمة أوكلتها له قط، ومن وراء هذه المهمات جمع أموالا طائلة تكفي لصنع عشرة أثرياء لا واحدًا فقط.

والعجيب أنه لم يتخلى عن مهنته، أو تتبدل هيئته قط، أو تظهر عليه ملامح هذا الثراء، وكأن لكل ما يجمعه من أموال هدف آخر.

وفي هذا الوقت لم أبالي بهيئته أو بأهدافه..

وليتني فعلت.

كان عز سريعا وحذرا، فلم يدع أحد يرصد اختطافه لتلك الفتاة المريضة، والتي كانت منهمكة في تناول بعض ثمار التوت البلدي التي جمعها من أجلها من شجرة التوت الكبيرة التي تظلل المصلى الصغير، الذي

أنشأه بعض الفلاحين على قمة أحد الحقول التي يعبرها في الطريق إلى منزلي كلما غدا أو راح.

في طفولتي لم تسلم هذه الشجرة مني أو من أي من الصغار، ورغم ذلك مازالت مثمرة وستستمر لأجيال عدة، ما لم تقطعها يد غاشم لا يعرف قيمتها التي أصبحت في حكم التراث.

وها هي الفتاة المثيرة للشفقة تقبع صامتة بداخل الصندوق الخشبي للعربة، الذي يغص ببعض أقفاص الفاكهة وكيسان كبيران من الدقيق، قد كلفته شقيقتي بإحضارها، وجوال ممتلئ بما كلفته أنا بإحضاره، تلتهم ثمار التوت الشهي في سعادة، غافلة عما يحاك لها في الظلام.

وكل عشرة دقائق ومن فتحة في مقدمة العربة كانت مغطاة ببطانية قديمة حال لونها، ظل عز يقذف لها حفنة جديدة من التوت كلما انتهت من سابقتها، فتهجم عليها وتجمعها بكل شغف الأطفال وحماستهم، قبل أن تبدأ في تصنيفها حسب ألوانها وأحجامها

تمهيد لالتهامها الواحدة تلو الأخرى في تلذذ، بينما يتهادى هو بعربته وكأنه يملك الوقت كله.

نعم عز من هذا النوع من البشر الذي يأكله الغرور والثقة بالنفس، ولو قابل في طريقه أحدا من ذوي الفتاة، لوقف يتحدث معه في أريحية عن نتيجة مباراة الأهلي والإسماعيلي، ويصب جام غضبه على الأهلي، رابط الجأش ثابت الجنان.

ربما هو الوحيد في هذه البلدة وما حولها، الذي يشجع هذا الفريق لأسباب مجهولة لم يعلنها.

غرابة أطواره لن تتوقف عن إدهاشي.

أراقبه على صفحة الماء المطلسم، التي تعكس لي مراحل رحلته صوب منزلي، شاعرا بملل شديد..

لكنه عز، ولن يتغير لأي سبب.

في النهاية وصل لبوابة منزلي.

أردد كلمات سريالية ذات مدلول خاص فتنفتح البوابة ليدخل بعربته إلى ساحة المنزل، ويصهل البغلان، بعد أن شعرا بفراستهما بما يحاك خلف أسواره، ويظهر عليهما التوتر.

يحمل عز أجولة الدقيق وصناديق الفاكهة تباعا ليتركها في ساحة البيت، تمهيدا لنقلها إلى داخل المنزل حيث تقطن أختي سعاد الأرملة، ورضيعتها فاطمة، قبل أن يسحب الفتاة الرقيقة ذات الثياب الرثة من داخل الصندوق، ويحضر معه جوال الخيش الذي يحتوي على طلباتي الأخرى .

يتقدم من البوابة الرئيسية فتفتح تلقائيا، ينعطف يسارا، ثم يتخذ الدرج الهابط إلى غرفة الكرار السفلية التي أستعملها في أعمالي الخاصة.

الفتاة تسير بجواره في هدوء وطاعة، وهي ما زالت تلتهم ثمار التوت.. أراها عبر لجة الماء المطلسم، وعلى وجهها ملامح السعادة فأبتسم، ناسيا الهدف الرئيسي من إحضارها. فالأطفال وحدهم قادرون على انتزاع

بسمتنا دون مجهود، كتلة من السعادة الفطرية تمشي على الأرض.

ولكن هذا ليس مناسبا أبدا لما أنوي القيام به.. إن استحضار ماردة الثلاثة عشر يوما تحتاج للخوف، لا السعادة.

سيكون علي أن أثير هلعها لأقصى مدى.

عز يجلس فوق مصطبة بدائية، يجهز جوزته التي ستعبق المكان برائحة الحشيش.

لقد أنهى مهمته، ويعلم أن بدء الأمر لن يتم قبل ساعات، فالظلام وغياب الشمس أساسيان في هذه التعويذة شديدة التفرد والتعقيد.. وما لا يعلمه هو، أن إعداد الفتاة للطقوس سيتطلب كل هذه الساعات، وليتها تكفي كي لا نضطر لتأجيل الأمر إلى الغد.

سأبدأ حتى ينتهي من (تعمير دماغه) كما اعتاد أن يقول.

الفتاة تراني فتبتسم ..

أرمقها وجها لوجه فأشعر بالقلق.. تخبرني حاستي المتفوقة أن هناك شيء غير طبيعي بهذه الفتاة الصغيرة.

شيء غامض لا أدري كنهه.. شيء مزعج أثار توتري وأعصابي..

إنها تلتهم ثمار التوت في جشع، ومعها أعصابي .

وهذا جعلني أتساءل عن الشيء المختلف فيها، أتأمل صفحة الماء أمامي، والتي أصبحت ترصد الآن حركات الاجرام السماوية التي سيرتبط بها سحري هذه الليلة، وأراجع في عقلي كل الخطوات عدة مرات.

كل شيء على ما يرام.. مازال الوقت سانحا لإتمام الطقوس، فقط ما يخص الفتاة هو ما يثير حيرتي.

دخان الحشيش يعبق المكان.

الفتاة تلتهم المزيد من ثمار التوت.

عز يبدد الصمت متسائلا عن موعد البدء، فأخبره أن ينتهي من الهباب الذي يدخنه ليساعدني في إعداد الفتاة، فيزيد من سرعة كركرة الجوزة.

أتناول الجوال الخيشي، وأخرج ما به من أشياء مهمة.

وردة زرقاء كانت بيضاء وغمست في حبر أزرق داكن، ليست أصيلة ولكنها ستفي بالغرض.

هدهد مصاب بطلق خرطوش، ولكنه ما زال حيا فأجز عنقه بسكين حاد، وأصفي دمائه في إناء فخاري مليء بالطلاسم والنقوش.

ضفدع موضوع في كيس مغلق يكاد ينفق، فأشق بطنه وأستخرج أحشاءه لأضيفها للدماء.

قنينة تحتوي على ماء غُسل ميت أريقها فوق المزيج .

فوطة صحية تحتوي على دماء الدورة الشهرية لإحدى النساء أضعها كما هي.

وأخيرا قبضة من تربة مقبرة دفن فيها طفل حديثا، أنثرها فوق باقي المكونات، وأبدأ بعدها في الخلط لثلاث عشرة دقيقة دون زيادة أو نقصان..

بعدها أستخدم المحقن الذي أحضره عز من أجزخانة البلدة في استنزاف دماء الفتاة وإغراق المزيج بها.

الفتاة حاولت المقاومة ولكن عز سيطر عليها في النهاية.

وعلى الرغم من بنيتها الضعيفة، ولكنها بطريقة غامضة استطاعت نهش ذراعه بأسنانها، وتركت أظافرها خدوشًا غائرة بوجنته، مما اضطرنا في النهاية إلى تقيدها.

إنها المرة الأولى في تاريخها التي تمارس فيها الفتاة العنف.

الفتاة الرقيقة المحبوبة ذات الابتسامة الصافية، أصبح وجهها يحمل الآن نحونا كراهية بلا حدود.

وكان علي وقتها أن أستمع لحاستي السادسة، وأستبدلها، وأعيدها للمكان الذي أحضرناها منه، وأؤجل الطقوس للغد.

ولكني كنت غارقا في إعداد المزيج، وضبط التوقيت، متحمسا لما سأحظى به من غنائم فور إتمامي لهذا العمل.

الليالي السوداء، لا مؤشرات مؤكدة على كونها ستصبح كذلك..

وكانت الفتاة مؤشرا واضحا لم أنتبه إليه في حينه.

الفتاة تدعى (ريما)، والجميع في البلدة يؤمنون إيمانًا مطلقًا أن بها شيء لله، كعادتهم في صناعة الدراويش والأولياء.

فتاة خرساء مريضة بداء التوحد، واعتاد أهلها غيابها لعدة أيام قبل أن تظهر، فلم يعد يبحث عنها أحد، فهي تنام حيث ينتهي بها المقام، وحين تنتهي طاقتها.

إنها في معية الله، وحمايتهم لها لا حاجة لها بها، وهو تنصل تام من المسئولية، لابد أن يعاقبوا عليه، ولكن من يجرؤ على إيذاء أو توبيخ أهل (المبروكة) كما اعتادوا أن يطلقوا عليها.

لا يوجد بيت في البلدة لم تقض فيه ليلة واحدة على الأقل يتبعها خير وفير للأسرة التي تتكفل بها في هذه الليلة.

إنها البركة و(وش السعد)، ولكني لم أر أي من هذه الأشياء فيها.

قلبي يخبرني أنها نذير شؤم، ولكن لا مجال لاستبدالها الآن، أو التحري عنها.

المزيج نضج على النار، وعلينا أن ندهن به جسدها بالكامل، وعلى الأمر أن ينتهي قبل غروب الشمس، لأنه

مع الغروب سأبدأ الطقوس الأصعب والتي تحتاج لكامل تركيزي.

أشير لعز فيحمل الفتاة كالذبيحة بعد أن نزع ثيابها كاملة وإن أبقاها مقيدة، ويضعها بداخل الدائرة التي أعددتها في وقت سابق، ونقشت بداخلها الطلاسم والأوفاق السحرية والأرقام المطلوبة، لأرسم حولها دائرة الحماية، لأحصر الشر القادم بداخلها.

كانت ريما صامتة، ولكنها كانت ترمقني بنظرة مخيفة.

نظرة واعية!

نظرة تتجاوز طفولتها، ومرضها، وفهمها، وكراهيتها لي.

نظرة تحمل كل الشر.

أتجاهل نظرتها، وأتناول كفها الأيسر، وأرسم فيه مربعا، وأسكب عليه نوعًا خاصًا من الزيت المغربي،

وأضع الوردة الزرقاء في كفها، فتنقبض أصابعها عليها، وتزوم بشكل مرعب.

قلبي يخفق في قوة، والتوتر يغشى وجه عز، الذي رمقني بنظرة متسائلة تجاهلتها هي الأخرى، وأنا أتناول من فوق الطاولة رقعة من الجلد خططت عليها بتركيز كامل، طلاسم أخرى كابحة، وعندما هممت بأن أضع الرقعة على وجهها لأكمل الطقوس، ارتج كل شيء، وكأنما يعصف بنا زلزال.

وانطلقت في المكان صرخات عنيفة لا يمكن أن تصدر عن فتاة صغيرة مثلها.

كانت الفتاة تصرخ..

فيتطاير كل شيء في غرفة الكرار.

حتى عز رأيته ملقى في أحد جوانب الغرفة وقد شج رأسه، وسالت الدماء من جرح عميق في وجهه، وقد سكن جسده دون حراك، فظننت أنه أصيب إصابة

بالغة، ولكن لا مجال الآن للتأكد عليّ إكمال الأمر قبل أن يفسد.

قبضت على الرقعة الجلدية المطلسمة، واقتربت منها لأنهي الجزء الأول من الطقوس، وأنا أتمتم بتعويذة حماية خاصة، جنبتني الفوضى الحادثة، وحصنت بها عز في مكانه بذكر اسمه واسم أمه، عندما دوى في عقلي صوت مخيف أدركت دون جهد أنه صوت الفتاة الخرساء، وكانت الكلمات صارمة ومحددة:

- " لا تفعل".

وبغضب ممتزج بدهشة عظيمة تقدمت منها، فانتفضت واقفة وقد تمزقت قيودها، وعادت ملابسها الرثة لتسترها دون تدخل من أحد.

وهنا أدركت أن تلك الفتاة ممسوسة من البداية ومن قبل أن يحضرها عز، لعنة الله على سوء اختياره.

ألقيت عليها تعويذة البيان، فتكشف لي كل شيء، وأدركت أن ما يسيطر عليها، هو أحد الكيانات العلوية

الخبيثة.

لم يكن جنًا ..

ولم يكن شيطانًا..

بل أحد كيانات الظل ..

وهي كائنات شديدة القوة والشراسة تعرف بالكيانات الحامية، وهي تقاتل دون هوادة لتحمي عائلها، بعد أن يحدث اندماج كلي بينها وبين من اختارته لتتطفل على جسده، فهي لا تستطيع أن تحيا بكيانها الخاص في عالمنا، فكل شيء فيه يقتلها الشمس والهواء والماء، وشرور البشر.

سر قوتها أن تمتزج بكائن حي له روح.

والخطر الوحيد عليها في عملية الاستحواذ هذه، أن موت العائل أو الوسيط -كما يطلق عليه خاصة العاملين في مهنتنا هذه، والذين امتلكوا حق معرفة هذا النوع من المخلوقات، وأحاطوا علما بأسراره -

وهي بداخل جسده يتركها إلى الأبد في عذاب لا ينقطع، فكانت تقاتل حتى الموت، قبل فناء عائلها، وقبل أن تتبدد طاقتها وحيويتها، كي لا يصبح فخًا أبديًا مؤلمًا بالنسبة لها.

وكانت ربما الوسيط، بعد أن طُرد ذلك الكيان من عالمه بعد أن تمرد على قوانينه، وتواصل مع أحد كهنة البشر، وبدأ التبشير بأفكاره الغريبة في عالمه الوثني الذي يحكمه الطغاة.

ومن الواضح أنه سكن جسد الفتاة منذ ولادتها وأصبح يتغذى على مشاعرها الإيجابية ومشاعر من حولها، ومن خلالها بدأ دورة حياته الجديدة.

كما أنه كائن طفيلي يمتلك قوة عقلية عالية، عن طريقها كان يصنع معجزات صغيرة، بتوجيه الغافلين لإكرام كل من يهتم بالفتاة، فأبهر من حولها، فحظيا بحصانتها وحريتها وشهرتها.

والمصيبة الكبرى الآن أن الماردة التي كنت أقوم باستحضارها، بدأت علامات حضورها تتكشف لي..

بل هي قد حضرت بالفعل، فالنيران تستعر في الدائرة المطلسمة المرسومة على الأرض، وهي أولى المؤشرات، وجسد الفتاة كان ينتفض معلنا، أنها بدأت تستحوذ عليها، وهو المؤشر الأخير.

كان المفترض أن يتم الأمر في سرعة وهدوء، ولكنه لم يحدث.

لا يمكن أن أصف لكم صرخات الفتاة، التي استمرت لعشرة دقائق كاملة بشكل مدمر للأعصاب، ولا مقدار الرضوض والسحجات والكدمات التي كانت تظهر على وجهها وذراعيها، وكل جزء آخر من جسدها، بعد أن التهمت النيران ثيابها دون أن تصيبها بأي ضرر.

ولا صرخات تلك الماردة المخيفة، التي فرضت سيطرتها على جسد الفتاة، والتي ستظل على أرضنا ..

لثلاثة عشر يوم كاملة ..

وكان علي وحدي أن أواجه هذا الجحيم..

وأخوض هذا القتال.

(6)

قطع تدفق الذكريات المخيفة تلك الكلمات المقبضة نفسها، التي ذكرتني بذلك الهول الذي مررت به في شبابي مع ريما وماردة الثلاثة عشر يومًا، فترك عقلي تشبثه بالماضي الرهيب، وعاد للحاضر الأكثر رهبة.

- " قتاااااااااااااااااال... قتاهههههاااااال... قتتتتتتتاال".

حررت زر الأمان العالق في بندقيتي العتيقة، ورجوتها في سري أن تعمل لأني سأحتاجها دون شك خلال الدقائق التالية، فلو أن الأمر يدور حول ماردة الثلاثة عشر يومًا بالفعل، فسيكون هناك وسيط بشري مختبئ في مكان ما، لابد من القضاء عليه أولا.

وقد تكون ريما أو غيرها لا يهم، فهذا وحده قد ينهي الأمر مبكرا ودون خسائر فادحة من ناحيتي، فربما سأموت بعدها فقط.

- " قتال"

إنها كلمة مخيفة في حد ذاتها، تنذر بالموت والخراب والدمار، من يستعملها في تعويذة مظلمة، فهو يحرر شر كامن يتجنبه السحرة في كل مكان وزمان، فهي مجرد تمهيد لطقوس خاصة بالتضحية.

وطقوس التضحية تتم لعمل دنس حقير، والدماء لا تتم إلا من أجل استدعاء كيان ظلامي مدمر، وهذا النوع النادر من السحر لم يقابلني أحد يتقنه بالشكل الصحيح في عصرنا هذا.

فهل ما حرض الفتاتين على القتال، والفئران على أن تطيعها ببساطة وتنهش بعضها بهذا الشكل، وجعل الصراصير تنقلب على ظهورها لتموت، وهي تحرك سيقانها المشعرة في هلع، هو ظهور ساحر جديد في باحة المصنع؟!!.

وهل هو نوع جديد من التحدي؟

ولو كان هذا صحيحا، فهل سيستخدم أقذر نوع من السحر السفلي، وهو التضحية بساحر قديم ليعلو مجد

ساحر جديد؟

هل سيقوم بتقديمي قربانا ليتم عهده ؟

الأمر لو صح فأنا في خطر مروع، لأن الطقوس المماثلة من أبشع ما يكون، فهي تقوم على التعذيب النفسي والجسدي دون شفقة أو رحمة، لفترة طويلة جدا من الزمن، تنتهي بتمزيق الساحر واستنطاق جثته لمعرفة أسراره.

لم أعرف إجابة حقيقية لأسئلتي، أو أبحث عنها، لأن فكرة الهرب قد سيطرت على كل تفكيري.

ولأن الهرب أصبح مستحيلا من حيث دخلت المصنع؛ قررت أن أتقدم أكثر لعل الغموض ينجلي أو أجد مهربا آخر يقودني خارج هذا المكان الخانق، الذي يفوح برائحة الموت.

تقدمت أكثر محققا فشلا ذريعا في تفادي أشلاء الفئران التي كانت تتفجر بصوت مكتوم تحت نعل

حذائي، وتتناثر دماءها على بنطالي، مثيرة في روحي أعتى مشاعر القرف والاشمئزاز.

- "ستكون الدماء والأشلاء دليلك، لتدفع ثمن ما تمنيت".

الصوت يدوي في عقلي ويزلزل روحي من ذكرى بعيدة كامنة في أعماق الذاكرة تفاعل معها عقلي برهبة، واعتراني خوف شديد، وأنا أرى نهايتي البشعة قاب قوسين أو أدنى مني.

لأقرأ بعدها كل ما أحفظه من قرآن وأدعية وتعاويذ حماية وجدتها حاضرة في ذهني، ليصدمني ملكوت الرائحة الكريهة.

لا أعتقد أن المقابر الجماعية لها رائحة أسوأ من هذه .

لم تكن رائحة حديثة، ولم تكن تنجم عن تلك الأشلاء المتناثرة من حولي، بل شيء أخبث وأكثر وطأة.

رائحة منفرة مشبعة بالموت والوحشية، تزداد قوة كلما اقتربت من مركز الضياء.

ومع كل خطوة أخطوها، كنت أشعر بأن جسدي ترتفع درجة حرارته، وبدا لي مع صعوبة تحركي؛ وكأنني سقطت بداخل شبكة عنكبوت لزجة.

ومن أعماق ذاكرتي دوى الصوت المخيف مرة أخرى، بلغة الشياطين القديمة ذات الوقع المدوي:

- " يومها سيغرق الموت والدماء عالمك.. يومها ستبعث من جديد.. ويومها لن يكون هناك مجال لتنقض العهد".

وهنا تذكرت كل شيء، وعادت الذكرى الموحشة إلى عقلي بعنف كزلزال ضرب أعماق روحي، وإن لم أملك الوقت الكافي، لاتخاذ أي ردة فعل تجاه ما فاجأني به عقلي، فقد بدأ الهول على الفور.

أظلم المكان تماما، ثم شع من حولي ضوء أحمر مخيف قان، جعلني أتجمد في مكاني وقلبي يكاد

يتوقف من الهلع، وأنا أردد في جنون:

- " هل سيحدث الآن؟".

الأمر كان أوضح من ضعف ذاكرتي، ومن النسيان.

أنا من سعيت إليهم.. أنا من رجوت(كهنة الثالوث) حتى قبلوا.. أنا من سفكت الدماء على مذبحهم.. أنا من قطعت عهد الدم على نفسي أمامهم ، ووافقت على كامل شروطهم.

لقد انجلى الظلام أخيرا، لأدرك أنني كنت بداية كل شيء، وأن كل هذا الهول الدائر، مجرد امتداد لعهد دموي قديم ، كلفني، وسيكلفني الكثير، و...

- "فووووو .. فووو...فرووو".

قطع أفكاري ذلك الصوت المخيف الذي يشبه صوت انطلاق القذائف، والذي شحذ انتباهي ووتر أعصابي بشكل غير مسبوق، وجعلني أتلفت حولي في هلع، قبل أن أصرخ من الألم والصدمة.

- "فوووو .. فووو...فرووو".

فمن اتجاهات عدة لمحت عبر الضوء الأحمر الثقيل، العشرات من خطاطيف الصيد الصغيرة وهي تخترق الهواء كالقذائف لتعلق في جسدي مخترقة ملابسي الثقيلة، مسببة لي ألم رهيب.

وليصلكم الأمر أكثر.. تخيلوا أن كل سنتيمتر من جسدي، وقد علق به خطاف صيد حاد.

الألم كان لا يطاق بشكل مروع..

أما ما حدث في اللحظة التالية، فكان شيئا لا يمكن أن يتخيله أو يتحمله بشر مهما كانت قوته أو قدراته.

فكما أتت الخطاطيف الحادة من قلب الظلام بدأت رحلة العودة، وكأنما تجذبها خيوط وهمية قوية.. ولكنها هذه المرة كانت تعود واحدة تلو الأخرى، وببطء شديد.

فكانت كل منها، ترجع من حيث أتت ممزقة جزءًا من جلدي ولحمي، مسيلة دمائي منتزعة صرخاتي المدوية، والتي لم تسعفني أحبالي الصوتية، ولا حنجرتي لإطلاقها لفترة أطول.

وأخذ جلدي يتمزق ويتفسخ، ودمائي تغرق المكان دون هوادة..

أنا على يقين تام أن الأمر لو أصاب شخصًا عاديًا، وعانى جزءًا يسيرًا مما أعانيه، لقضى نحبه على الفور من شدة الألم.

استمر جسدي في التمزق، والضوء الأحمر يكاد يحرق عيني من شدته، لدرجة أني كنت أراه وأنا مغمض العينين!

استمر الأمر إلى الأبد، حتى أني تمنيت الموت.

ثم بدأ الضوء يخفت، وتكومت أنا على الأرض وسط بركة دافئة من دمائي في وضع الجنين، حولي جلدي

المنسلخ، الذي كان يذوب من شدة حرارة الضوء الأحمر اللاهب، قبل أن تبدأ العملية العكسية..

وفي لحظة واحدة، انقلب الضوء الأحمر القاني، لضوء أبيض ساطع كالحليب، لدرجة أني اعتقدت أنني قادر على لمسه والقبض عليه.

وعندما بدأت خيوطه تمس جسدي، شعرت بأن هناك الآلاف من المشاعل تقوم بحرق كل خلية من خلايا جسدي على حدة.

لم أصرخ فقط هذه المرة، بل بكيت بدموع من دم، كانت تتبخر ما إن تغادر حدقتيّ، بعد أن تحول جسدي إلى جمرة ملتهبة.

لم يطل الأمر هذه المرة لحسن حظي.

لقد تمزقت إلى الأبد.

واحترقت لساعات.

تم هدأ كل شيء وانخفضت حدة الضياء، وعاد لي إحساسي بجسدي، وبالمكان من حولي.

وبعد أن كان جسدي الواهن كومة من الهلام الدامي، بدأ يتماسك و يزداد قوة وصلابة بشكل عجيب، وينبت لي جلد جديد، وكأنما وجودي في هذا المكان يعكس تأثير الزمن والتمزق بشكل خارق.

الآن أسمع الأصوات جيدا، وأرى الموجودات من حولي بشكل أوضح دون نظارتي التي هشمتها في صراعي السابق.

تقدمت أكثر وأنا أتأمل المكان المقسم لغرف عديدة على الصفين تغص بالآلات الغارقة في التراب وخيوط العنكبوت، وأنا أشعر بآلام عنيفة في قدمي، وكأنني أسير على زجاج حاد.

الضياء يخرج من كل الغرف بلا استثناء.

والأصوات والصراخ والأنين تتداخل في سيمفونية مثيرة للخيال والجنون.

أتحسس جسدي العاري في حذر، ثم أبحث عن شيء يسترني، فلا أجد إلا معطف بالي، يكشف أكثر مما يستر، أرتديه للحظة ثم أنزعه.

مازالت خلايا جسدي حساسة ملتهبة، ولا أطيق حتى ملمس القماش القديم، كما أن حرارة جسدي تغلبت على برودة الجو، من كثرة ما يحدث داخله من تفاعلات.

أتلمس جسدي مجددا..

أهي عضلات بالفعل ..

إنه لم يعد جسد هرم عجوز، بل صار جسد مصارع تتفجر منه العضلات والصحة والقوة..

إحساس ممتع بشكل لا يمكن تصوره.

لقد تحققت أمنيتي بأفضل مما كنت أتوقع.. لقد تم بعثي من جديد دون شك.. لقد عدت شابا، لا شيخًا هرمًا ينتظر الموت.

أرمق كل غرفة أمر عليها محاولا كشف الخطوة القادمة التي سيقومون بها نحوي، بعد أن عادت لي ذاكرتي، وكشفت سر تلك الأحداث الجهنمية الدائرة في المصنع المهجور، فلا ترصد عيناي غير الضوء الباهر، والغريب أنه لا يؤذيها.

أتقدم حتى أصل إلى سلم جانبي لابد وأنه يقود إلى قبو المكان.. الحضور الغامض يزداد، وأشعر بأن آلاف العيون تراقبني.. أهبط درجات السلم المعدنية الملتصقة في الحائط بخفة شاب في العشرين، والضوء يصير شمسًا مبهرة تخفي عني كل التفاصيل.

الرائحة العفنة في القبو مضاعفة..

الأصوات الصارخة أكثر حدة.

الكهرباء الإستاتيكية تشع في قوة.

أتفحص المكان مغمضا عيني، جاعلا الجدران دليلي.

لا شيء.

أتقدم من مركز الغرفة..

الأرض مع كل خطوة تصير أكثر لينا، وكأنني أمشي على مطاط سائل.

قدماي تغوصان في الأرض.

الأرض تصير كالهلام وجسدي يهبط بداخلها بسرعة .

الضياء يخفت..

يتحول إلى ظلام ..

ظلام معتم لا يمكن أن يتواجد على هذه الأرض، قبل أن تنفجر في عيني قنبلة من الضوء اللامع، ودانات من الأصوات المتفجرة، لأجد نفسي محتجزا بقلب صندوق معدني مصمت، له واجهة زجاجية تطل على أبشع مكان يمكن أن تراه في حياتك .

تطل على المسلخ.

إنه الاسم الوحيد المناسب لهذا المكان الملعون.

وهو مكان هائل الحجم، يحتل مساحة القبو كاملة، جدرانه التي تساقط دهانها، رسمت عليها بالدماء مئات من النقوش والطلاسم والتعاويذ والخرائط والأرقام، كما تهبط من سقفه عشرات الخطاطيف ذات المقدمات الحادة، ومنها يتدلى ما لا يقل عن خمس فتيات هلعات، بعضهن عاريات، لم تتجاوز أكبرهن الثلاثين من عمرها.

مجرد وقوع بصري عليهن، جعلني أهتاج وأشعر بشهوتي للقتل تستعر، ورغبة عارمة بدخلي أن أستمع لصرخاتهن .

نعم الكلمة صحيحة.

لم أكن أريد فقط أن أقتلهن، بل كنت أريد إيلامهن وإذلالهن، ثم تمزيقهن إربا، لأشعر بأنني عدت المسيطر من جديد على مجريات حياتي.

- " جماااااااااااااااااااااااال... جماههههههاااااال... جمممممماال".

الصوت هذه المرة كان يذكر اسمي بوضوح، الصوت يذكرني بالعهد، وبصفقتي معهم.

إنهم هم.. لم يعد هناك أدنى شك.. أباطرة السوق السوداء للسحرة بين العوالم.

الثالوث الأسود..

من يتعامل مع الثالوث.. مع كاهنات العوالم الثلاثة، عليه أن يتوقع كل شيء. إنهن كالمرابين اليهود، لا يمنحونك شيئًا إلا بمقابل هائل، وفائدة مضاعفة، وفي الوقت الذي يناسبهم، وقد لجأت إليهن بعد أن أحطت بطريقة التواصل معهن مصادفة، وقدمت فروض الولاء والطاعة.

فطموحي ونهمي لسبر أغوار هذا العالم المظلم هو ما قادني إليهن، فمع الأموال التي صارت تتدفق على رأسي كالمطر مع تورطي أكثر في هذا المستنقع الرهيب، أصبحت أمتلك شبكة هائلة من الأتباع في أنحاء العالم.

وأحد هؤلاء الأتباع هو الذي أرسل لي جثة ذلك الساحر اليمني الأريب في طرد دبلوماسي مقابل مبلغ فادح من سبعة أصفار، وعندما استنطقت جثته والتهمت قلبه، علمت بالطريقة المثلي للتواصل مع كاهنات الثالوث، وكان هذا حتميا بعد أن صرت من سحرة الدم.

أو شياطين الإنس.

وهذا هو اللقب الذي أطلق قديمًا، على من هم مثلي، تلك الفئة شديدة الندرة من ممارسي السحر الأسود، ومن امتلكوا القدرة على العبور إلى العالم السفلي، والعوالم العلوية والموازية، وأحاطوا علما بالأسرار القديمة والمحرمة بعد أن امتزجت دماؤهم بدماء مردة السعدان، وهم من تنتمي لهم ماردة الثلاثة عشر يوما التي تجري دماؤها في عروقي، وهم نسل أحد أدنس سحرة الشياطين وأخبثهم.

لم يكن حصولي على الدماء سهلا، بل دفعت ثمنا باهظا، خاصة وأن مردة السعدان لا يمنحون دماءهم

لأحد طوعا، وإجبارهم على هذا الأمر يجعلك على قائمة انتقام عشيرتهم منك.

ما فعلته مع ماردة الثلاثة عشر يوما دوى أصدائه عبر العوالم، وكان علي أن أتوقع انتقامًا عاصفًا، لذا كان علي أن أعقد عهد دموي جديد.

وكان العهد مع كاهنات الثالوث، ألا أهرم.. أو تصيبني الشيخوخة.. أن أقابل الموت شابا، كي لا أمنح أعدائي في العالمين الفرصة للتنكيل بي، بعد كل ما اقترفته في حقهم بسحري وغروري.

لم أطلب الخلود بالطبع، الأحمق فقط من يطلب المستحيل، ولم أطلب أنا إلا الصحة والقوة، ومضت السنوات دون أن يتحقق شيء برغم قسمي لهم بالدم على الولاء والطاعة، كأنهم غفلوا عني على غير عادتهم.

فنسيت مع مرور الزمن وانشغالي في صراعاتي كل شيء عن أمنيتي وعن العهد الذي قطعته، وأسكرتني

القوة التي منحتني إياها دماء ماردة الثلاثة عشر يوما، وقدرتي على التنقل عبر العوالم.

وها هم قد عادوا الآن بعد أن نسيتهم، وتركت خلفي هذه العوالم، بعد وهني وضعفي، ومنحوني أكثر مما طلبت..

ولابد لهذا من ثمن، فلا أحد يدفع أكثر إلا لو رغب في شيء أكبر، وأنا مجبر على الدفع والسداد.

الصوت الغامض يؤكد هذا، ويخبرني أن المسلخ جاهز، وأن الفتيات هن القربان، وأن جائزتي هي القوة المطلقة، والعمر المديد، ولكن شيء بداخلي يخبرني بأن أطلب العكس، أطلب الموت.

لا أجرؤ على الطلب، ولا أستوعب معنى أو فائدة أن تكون لي رغبة أو إرادة، فأنصتُّ للصوت وعيناي تلتهمان الفتيات في جشع، وكل ما استطعت التفوه به هو:

- " حرروني أولا".

الصوت يدوي بداخل رأسي:

- " الحرية لا ثمن لها إلا الدماء، قدم قربانك لسادتك، وساعتها ستنال ما تتمنى".

عقلي يحترق من تداعي الأفكار، لقد بعثت من جديد، وتحقق المراد، واستعدت شبابي، وامتلكت فرصًا جديدةً للحياة، وعلي أن أدفع الثمن، أنا فقط في حاجة مضنية لمغادرة هذا المكان أولاً، وبعدها سأكون مستعدا، لسفك دماء العالم أجمع وتسديد ديني، فقط أخرج من هذا الجحيم..

فلم تتزايد قوة جسدي، وحدة سمعي وبصري فقط، بل زاد شعوري بالخوف والهلع لدرجة مخيفة، فأصبحت الآن أرى وجوه الموتى من حولي.

كل من قتلتهم وعذبتهم، واستنطقت جثثهم يصرخون في وجهي بشكل مروع، ويريدون النيل مني.

المكان يضيق، والهواء شحيح، يزاحمني فيه المئات من الفئران والسحالي والأفاعي - الصراصير نفقت

بالطبع لذلك لم تتواجد بالمكان - كما يصدم أنفي تلك الرائحة الشنيعة القادمة من أعمق أقبية الجحيم.

الضغط النفسي كان مروعا، لأقصى مدى، إنه وسيلتهم لإثبات قوتهم وطول يدهم، مما جعلني على استعداد تام لقتل نفسي والموت كافرا في هذه اللحظة، لو كان هذا يمنحني ثانية واحدة أتحرر فيها قبل أن يسمح لي خادمهم.

هل أخبرتكم عن الغولة، وأبانوخ الجهنمي، والمخلبي، وطهماش، وأزور بنت راجيش، وماردة الثلاثة عشر يوما.

أعدائي اللدودين.. جميعهم هنا.. وجميعهم حاضرين ويتأهبون للفتك بي وتمزيقي إربا.

كل مخاوفي تتجسد أمامي بشكل مفزع، وتزلزل أعماقي.

- " موافق".

لم أعرف فائدتها، ولا ما قد تفيد به، ولكنها كانت الإجابة الصحيحة، ففي لمح البصر انهار زجاج الواجهة، وتلاشت معه كل المشاهد المخيفة، وخمدت الأصوات، ولم يتبق أمامي إلا الخمس فتيات، المعلقات بشكل مؤلم على الخطاطيف من قيود معدنية تنشب في لحمهم دون رحمة.

- " تقدم إلى الأمام".

أطعت الصوت دون مناقشة، ثم صرخت في اللحظة التالية بكل ما في حنجرتي من قوة، بعد أن هشم قدمي فخ من فخاخ الدببة التي قرأت عنها قديما، مما جعلني أسب وألعن ودموعي تهطل في غزارة وأنا أتساءل في دهشة:

- " لماذا.. ماذا فعلت، وبأي شيء أخطأت؟".

دوى الصوت مجددا ليقول:

- " عليك أن تتذوق طعم الألم، لتعرف جيدا كيف تمنحه".

ثم سمعت الصوت يدوي بأعماقي :

- " تقدم إلى الأمام".

تقدمت، ثم صرخت، سببت، لعنت، تساءلت، ولساعة كاملة ظل الموقف يتكرر، والفخ يهشم قدمي مرار وتكررا، حتى تهشمت روحي تماما، ووجدت نفسي ألقي بجسدي على الأرض، وأصرخ :

- " كفى، أنا خادمك المطيع، ولن أفكر مجددا".

الصوت يدوي من جديد:

- " لقد تعلمت الدرس جيدا، والآن عليك أن تقوم بمهمتك".

قلت في يأس:

- " أطلق سراحي، وسأنفذ كل ما تعهدت به دون تأخير".

رد الصوت:

- " أنت حر".

قالها، فتلاشي الفخ المعدني من حول قدمي، وشعرت بها سليمة معافاة، وإن بقي صدى الألم في روحي، وكان آخر ما شاهدته في تلك الليلة قبل أن أفقد الوعي، عز يبتسم في وحشية، لقد ظهر أخيرا هذا الوغد، ثم تلك الأهداب التي أحاطت بي في سرعة رهيبة، وبدأت تتسلل إلى داخل جسدي عبر كل فتحاته بلا استثناء.

وكان الألم في حينها لا يطاق.

(7)

استيقظت من إغماءاتي بداخل القبو ، وذاكرتي تحمل تفاصيل كل ما مررت به من هول وألم..

لم يكن هناك ضوء مبهر، أو أصوات مخيفة.. فقط ضوء النهار الشاحب يضيء المكان، والفتيات العاريات كن هناك معلقات بطريقة همجية، كل منهن، على خطاف صدئ، وقد بدا عليهن الإنهاك والانتهاك، وفي يدي خنجر مطلسم حاد، تموج في جسدي قوة مائة رجل، وأشعر من حولي بحضور مخيف، جعلني أقول دون أن أسمع الصوت هذه المرة:

- " خادمك المطيع سينفذ مهمته".

خطرت ببالي فكرة، فمسحت ببصري المكان بحثا عن عز حولي فلم أجد هذا الحقير، لقد عاد إلى الظلام كما ظهر، والآن تأكدت من ضلوعه في الأمر، وخيانته لي، ومهما كانت نتيجة أفعاله، فهو من جعلني أعيش هذه

الأحداث المروعة، وهو من أعادني لهذه المستنقع الرهيب، وعليه أن ينتظر عقابي.

نظرت إلى الأرض، فوجدت أشلاء الفئران، وقد التصقت بالأرضية، وقد جفت، وكأنما مرت عليها عدة أسابيع، وكانت تصدر عنها رائحة شنيعة كانت في أنفي كالعطر.. إنها رائحة الموت.

وبهدوء تقدمت من الغرفة الأولى، ولدقيقة كاملة وقفت أتأمل جسد الفتاة الماثل أمامي، أنزع ثيابها وأتأملها في وحشية..

أريد أن أرى هذا الجسد يتألم .

ويتمزق..

ويتفسخ.

ولكني لا أريده أن يموت بسرعة.

تتداعى إلى ذاكرتي مشاهد مماثلة من حياتي السابقة، وأرى نفسي أقدم القرابين الدموية لسادة العالم السفلي في بعدهم المظلم، لم يكن سفك الدماء بالنسبة لي مجرد وسيلة لتنفيذ أعمال سفلية محرمة فقط، بل كان جزءا من شخصيتي السابقة، كنت أتلذذ به واستمتع بحدوثه، كان يجعلني أرى نفسي نصف إله، أتحكم في من يحيا ومن يموت، كما أن مشاهدة الدماء كانت تصيبني بنشوة عارمة.

الأمور تسير في منحنى متصاعد لم أحلم به يوما.

ذاكرتي التي خانتني مرارا، بعد أن ضعفت بفضل ممارستي للسحر الأسود عادت.. شبابي عاد.. وثمن حياتي الجديدة فادح ولكنه يستحق.

العهد كان واضح البنود.. الاستعباد لعشرة سنوات كاملة، وألّا أمس امرأة طوال هذه المدة، وألا أسعى ليكون لي وريث من صلبي ما حييت، وأن أكون الوسيط في إتمام عدة مهام تخص كاهنات الثالوث..

لقد وافقت على العهد مسبقا، ولم يعد هناك مجال آخر للتراجع، وعلي فقط أن أكون أكثر حذرا، فقد نفذوا بنود العهد عندما صاروا بحاجة إلي، لا لسبب آخر، والآن علي أن أتم العمل الأول.

ثلاثون ضحية بشرية علي تقديمها على مذبح الولاء والطاعة.

خمسة منهم أحضرهم عز الذي قاموا بتجنيده من خلف ظهري - فلابد من بديل جاهز لإتمام أعمالهم دائما - عز الذي كان أكبر ثغرة لم أنتبه لها في جدار عزلتي، عز الذي يسعى ليرث ميراثي، ويصير ذات يوم الشيخ عز.. عز الخائن..

خمسة علي أن أبدأ بهم الآن.

وأن يظلوا على قيد الحياة لأطول فترة ممكنة، لأن ذلك المخلوق القادم مما وراء العالم، والذي تسلل إلى جسدي، يحتاج لقربان دموي وحشي، لينجح في إنفاذ

عزيمة جهنمية تنقله، إلى بعد الشياطين، لهدف لا أعرفه.

أي صفقة عقدها مع كاهنات الثالوث ليحظى بهذا الثمن الكبير، وليفتشوا في دفاترهم القديمة، ويخرجوني من عزلتي.

لا إجابات هناك.. علي أن أتم مهمتي، وأدفع ديني لأتحرر. ولأتأكد من إتمام الأمر على أكمل وجه، كان على العودة لغرفتي الخشبية لإحضار كتبي وتعاويذي.

وعندما لم أجد معارضة من الصوت، غادرت المكان بحذر، وفي عقلي يدوي صوت انطباق الفخ المعدني على قصبة رجلي وصوت تهشمها.

وطوال طريق العودة رأيت عشرات الآثار للأقدام ذات الحافر..

كانت تترك أثرا ثقيلا على الأرض المتربة، وكأن صاحبها يزن ما يفوق المائتي كيلو جرام، وأعتقد أن أي مقتفٍ أثر ماهر سيخبرك أنها لا يمكن أن تنتمي

لحيوان من ذوات الأربع، بل تنتمي لحيوان أو شخص أو كائن مجهول يمشي على قائمتيه الخلفيتين المنتهيتين بالحوافر.

وهذا جعلني أتساءل من أي عالم أتى خادم الكاهنات الثلاث هذه المرة.

الأمر مخيف بالفعل.

ورغما عني عاد عقلي إلى تلك الليلة المشؤومة التي بدأ فيها كل شيء، إلى ريما، وإلى ماردة الثلاثة عشر يوما.. السبب الرئيسي في عقدي هذا العهد الرهيب، بعد أن صرت أول المطلوبين على قائمة عشيرتها الشيطانية.

لم أكن أسترجع الذكرى، بل كنت أعيشها بكل آلامها وتوترها ورهبتها، فقد صار عقلي أكثر يقظة، وذاكرتي بصفاء الماء في جدول.

بدأ الأمر بالنيران التي اشتعلت في محيط دائرة الحماية المطلسمة لتصنع دائرة مشتعلة أكبر حجما، لم

تتوقف لحظة عن الانتشار، بل امتدت منها ألسنة اللهب إلى كل مكان آخر في غرفة الكرار، التي عبقت بدخان كثيف، وبدأت تلتهم كل شيء وفحيحها يحرق أذني.

وبرغم صدمتي وتوتري، إلا أني تركت كل شيء يحترق، وتركت عز غارقا في دمائه، وجمعت كتبي ووضعتها في صندوق معدني سميك يشبه الخزانة أعددته للطوارئ المماثلة.

فتلك الكتب هي كنوزي وميراثي ومصدر قوتي، قبل أن أستدير لأواجه التهديد المضاعف الذي تمثله ريما، الفتاة الممسوسة بكيانين مظلمين أتيا مما وراء العالم.

النيران تتصاعد من حولي في جشع، ولكنها آخر ما آبه به، فالفتاة البالغة من العمر أحد عشر عاما، هي ما تمثل لي الشر المستطير الآن.

أردد تعويذة خاصة لأتحكم بالنيران، وأجعلها تحيط بريما ..

ترتسم على وجه ريما ابتسامة مخيفة لا مبالية، ثم يصدر من فمها الأخرس الصوت المخيف بالسريالية التي أتقنها:

- "الآن تموت"

أثبت عيني في عينها بتحد واضح، متجاهلا ذلك الظل الشبحي الذي يكلل وجهها، والذي أدركت عند رؤيته، أن الماردة قد تغلبت دون مراء على الكيان الحامي، وسيطرت على جسد ريما بصفة مطلقة، فقلت بصرامة وبلهجة آمرة حاسمة:

- " بل ترضخين لسيدك".

دائرة النيران تتسع، وتتحرك نحوي بإصرار مخيف، أشير إليها وأنا أردد التعويذة فتتوقف، وأنا أسمع الصوت السرياني المخيف يقول:

- " بل ترضخ أنت أيها البشري الحقير".

سمعت بعدها صوت ضجيج مرتفع ممتزج بصرخة ميزتها أذناي جيدا، فنظرت للسقف الذي تهاوى جزء منه، وسقط عبره بسرعة شديدة مهد صغير بداخله ابنة شقيقتي فاطمة، مما جعلني أجفل وأتشتت للحظة، فتحيط النيران بي لأشعر بلفحها على وجهي وجسدي، ليصفع أذني الصوت المظلم القاسي:

- " ترضخ وتموت، ولكن قبلها ليموت كل من تحب".

اللعنة على تلك الماردة الخبيثة، إنها تقاتل دون شرف، وأحاطت في وقت قياسي بكل نقاط ضعفي، على عكس أربابها من الجن الذين قمت باستحضارهم مسبقا.

أتمالك نفسي بسرعة، وأردد التعويذة المسيطرة، لتنطفئ النيران، وأقف في مواجهة ريما بجسدها النحيل، ونظراتها المشتعلة بنيران الجحيم، دون أن أشعرها بأني أبالي بتهديدها لفاطمة الصغيرة التي لا أعرف كيف نجت من السقوط العنيف السابق، فهي

ليست المرة الأولى التي أقوم فيها، بترويض جن مارق.

وفي لمح البصر تناولت من جواري قنينة مليئة بالملح المقروء عليه، ونثرتها في الهواء، ثم تقدمت بسرعة خاطفة نحو فاطمة الباكية، لأنتزعها من المهد المبطن الذي ولا بد حمى جسدها الضعيف من التهشم نتيجة السقوط، وأحملها بين يدي وعلى وجهي ابتسامة ظفر وانتصار.

لينشق العدم عن شقيقتي الحبيبة سعاد التي أوصتني عليها أمي قبل موتها، وعلى وجهها أمارات ذهول شديد، وهي تنظر نحوي ونحو فاطمة، بعينين يسكنهما كل رعب الدنيا، والنيران تحرق ملابسها.

أردد تعويذة كبح النيران، ولكن الشيطانة تردد تعويذة أخرى، وتنهيها قبلي بفارق لا يذكر لتتحول أختي الصارخة إلى كومة من الرماد.

وهنا استشاط غضبي .

فانتزعت من طيات ثوبي زجاجة بها خليط من الكافور - وهو سم الجن وسحرة الشياطين - وعشبتي الحلتيت والشذاب وزيت العنبر وألقيتها نحوها فتفجرت وأغرقت جسد ريما، ومزق زجاجها الحاد وجهها الرقيق، دون أن يظهر عليها أي تأثر.

إن ما أنا موقن منه الآن، أن وعي ريما الحقيقية في مكان آخر، إني أقاتل الماردة الخبيثة، وإن كان كل الضرر يقع أولا على ريما.

تأملت وقفتها ووجها الذي كساه السواد.

وهنا أدركت أني لا أواجه الماردة فقط بل أواجه معها الكيان الحامي الذي سيطرت عليه، وقلبته ضدي.

مشهد شقيقتي التي تحولت إلى رماد يفطر قلبي، فأنزع عينيّ عنه بصعوبة، وأنا أضم جسد فاطمة الصغير إلى صدري.

ولكن لا وقت للحزن الآن، لابد أن أحمي فاطمة، آخر من تبقى لي من أسرتي وسلسال عائلتي، الوريثة

الوحيدة، لميراثي وميراث أجدادها المخضب بالدم .

الآن وقت الانتقام، ورد الصاع صاعين.

تأهبت لأرد الهجمة، ولكن وجود فاطمة الباكية بين ذراعي كان يعوقني بشدة، وبرغم ذلك رددت تعويذة خاصة، ورسمت بيد واحدة أحد الطلاسم في الهواء، وقلت بغضب:

- " ستدفعين الثمن أيتها العاهرة".

انطلقت ضحكتها الماجنة ترج المكان، بعد أن ظنت أنها أفسدت تعويذتي بسحرها، قبل أن تنقلب ضحكتها الساخرة لصراخ وزئير غاضب.

فدون مقدمات وقبل أن تستعد، غمر المكان دخان بخور مغربي قوي أصاب الماردة بشلل مؤقت، أربكها، استغليت صدمتها في إلقاء تعويذة السيطرة عليها، والتي حجمت من قواها إلى حد كبير، قبل أن أصرخ في عز الذي أعادته تعويذتي من عوالم الغيبوبة، فاستفاق وأشعل البخور، وأنا أهتف به في سرعة:

- "القميص".

لم يكن قميصا كما لكم أن تتخيلوا، بل بُردة من الكتان الثقيل المشبع بزيت الكافور، خيط إليها عشرات الرقع القماشية المليئة بالعزائم والطلاسم، التي أعددتها منذ البداية للسيطرة على الماردة وسلبها قوتها حتى أنتهي من غرضي منها.

ولم يكن على عز إلا أن يحرر الحبل الذي صنعنا منه هذا الفخ..

وبرغم الدماء التي تغرق وجهه إلا أنه فعلها، دون خوف ودون تردد، فسقطت البُردة لتغطي الفتاة الممسوسة بالكامل وتثبت جسدها إلى الأرض، لأسمع من تحتها أبشع وأقوى صرخة سمعتها في حياتي..

لم تكن صرخة ألم ..

بل كانت صرخة انتقام ..

الصرخة زعزعت أساسات البيت، وهدمت سوره، وحطمت أثاثه، وأطاحت بعز ليفقد الوعي مرة أخرى، وسلبت فاطمة حياتها بين ذراعي.

ونجوت منها بصعوبة بسبب تعويذتي الحامية.

كانت الصرخة آخر ردة فعل من الماردة التي سكنت تمامًا تحت البردة المطلسمة، وكأنها جثة هامدة.

وردة فعلها هذه لم تتوقف عند منزلي الذي تصدعت كل جدرانه فحسب، بل امتد كالزلزال، وأصاب كل بيوت البلدة القريبة في دائرة نصف قطرها ثلاثة كيلو مترات.

كان تلبس الماردة لجسد ريما واستحواذها عليه، هو الفخ الذي رسمته لها منذ البداية، لأنها بفعلتها هذه تكون قد خرجت من قانون الجن وخضعت للقانون البشري.. قانوني أنا..

ولولا أنها استعانت بقدرات الكيان الحامي الذي يسكن جسد ريما من البداية، وسحر نسلها الشيطاني، لكانت

تحت يدي من أول لحظة.

فلا يجرؤ أي شخص على استحضار سحرة الشياطين أبناء السعدان، إلا إن كان أحمق، أو مجنون، أو أنا الشيخ جمال رضوان، القادر على ردعهم وترويضهم.

ذاع الخبر في البلدة كلها، فتجمهر الناس، وأتوا من كل حدب وصوب، بعد أن شاع في كل مكان، أن الجن قد هدم بيت الشيخ رضوان وقتله.

كانت إشاعة مغرضة، واضطررت بسببها لمواجهة الجميع، وقرأت في العيون المحبطة أمنيات كثيرة تتمحور جميعها حول موتي، وحزنهم لعدم تحققه.

حتى الجن لم يستطع هزيمتي، فأي هول ينتظرهم مني!!

الجميع يهابونني ويكرهونني، وهو شيء لا يفت في عضدي، بل يزيد من سعادتي ومن عقابي الذي سينال الجميع.

مأمور القسم نفسه قام بزيارتي، وعرض المساعدة، ولكن الشيخ رضوان لا يقبل مساعدة أو شفقة.

وطوال العزاء الذي امتد لثلاثة أيام وحضره كل من يعرفني أو سمع عني بلا استثناء، بالإضافة لأهل البلدة اتقاءً لشري، لم تغب عن عيني مشاهد الصراع الأخيرة، ومشهد شقيقتي الوحيدة وهي تحترق أمام عيني صارخة، ومشهد ابنتها الأخير، وجثتها الصغيرة التي أغرقت الدماء فمها وأنفها وأذنيها وملابسها.

وكان الشعور الوحيد الذي أخذ يمزقني، أن كل سحري وقدراتي، وقفت عاجزة عن إعادة الحياة لفاطمة، أو بعث شقيقتي من بين الرماد.

لقد فقد ت كل شيء بسبب مصادفة حمقاء، واختيار أحمق من عز.

ولم يعد لي أي رغبة إلا في الانتقام منها.

وتأجل الأمر إلى أن حققت هدفي من استحضار تلك الساحرة الملعونة، واستنزفت ما يكفي من دمائها قليلة

الكثافة، وحقنتها في عروقي، وبعدها كان انتقامي مروعا.

وجعلتها، هي، وذلك الكيان الحامي اللعين، الذي يبقيها هي وريما على قيد الحياة، عبرة للعالمين.

ففي سجنها المطلسم، القابع في أحد براكين عالمنا النشطة.

لن تجد الراحة أو الحرية طالما نجم الشعرى اليماني يسطع بالضياء.

فسحري لن يزول إلا بزواله.

الصحفي

(8)

تأملت جمال رضوان في رهبة، وكأنني أراه للمرة الأولى، على الرغم من كونه يجلس أمامي طوال الساعات الماضية..

لم يبد عليه الإرهاق أو الإنهاك، بالرغم من كونه لم يتوقف لحظة واحدة عن قص حكايته الدموية شديدة الغرابة على مسامعنا حتى انتهى منها.

شيء لا أدري كنهه في هذه الملامح الهادئة، كان يوترني، بل يثير أعمق مخاوفي وحذري.

لم يكن من يجلس أمامي شيخًا هرمًا كما كنت أتوقع عندما حدثني عنه صديقي العقيد سامح وطلب مني لقاءه، بل شاب وافر الصحة، لا يتعدى عمره خمسة وثلاثين عاما، مخيف النظرات، له لحية نصف نامية، لا يبالي بمن يحيطون به من جنود لم تغادر أصابعهم أزندة أسلحتهم المشهرة في وجهه، ولا بالقيود

المعدنية التي قيدت يديه وقدميه، مطمئن وكأنه في بيته، لا في أحد أكثر أماكن وزارة الداخلية سرية وحصانة.

وما أنا متأكد منه، أنه لولا صداقتي العميقة بسامح وإلمامه بكوني مهتم ومطلع على تلك العوالم المظلمة التي تغص بها كتاباتي ومقالاتي، لما كنت أحد أطراف هذه الجلسة السرية شديدة التوتر.

وعلى الرغم من استعانته بي، فأنا على يقين كامل، بإيمانه التام بأنه يجلس أمام دجال أو نصاب، يجيد نسج القصص الخيالية. وهنا أمنحه بعض العذر، على الرغم من أن تحليل البصمات أثبت أننا نجلس بالفعل أمام الشيخ رضوان، الذي تقول شهادة ميلاده أنه شيخ في أرذل العمر.

يمكن إقناع سامح بجزئية التزوير في الأوراق الرسمية، والمستحيل طبعا أن يقتنع ولو على سبيل الفرضية، بأن جمال رضوان كان شيخا وأصبح شابا بعهد سحري قطعه مع من؟..

مع ثلاث كاهنات غامضات، تنتمي كل منهن لعالم مختلف، ويدرن عبر السحر تجارة رائجة بين العوالم ..

أنا نفسي أحاول تقبل قصته بصعوبة، على الرغم من مرونتي في التعاطي مع مثل هذه الأمور الشائكة.

جمال رضوان نفسه دليل حي على أن في الأمر شيء غامض، شيء من خارج عالمنا، ومن خارج ما اعتدنا عليه في حياتنا اليومية.. فكل شيء فيه عجيب وغريب ومثالي.. بشرته نقية كبشرة طفل، أو كأنما لم تقربها الشمس قط، صوته قوي رخيم وآسر، جسده لا يحتوى على جرام واحد من الدهون، يتحدث وكأنما يملك العالم كله، والزمن كله.

برغم نفوري منه إلا أنني كنت أكن له إعجاب خفي، فهذا شخص قوي ومسيطر، وما يقصه على مسامعي برغم جنونه يجعله شخص خارق وجذاب، ومثير لفضول صحفي مثلي يلهث خلف كل ما هو غامض ومخيف ويتعلق بالعوالم الأخرى أو ما وراء العالم.

إنه يحكي قصته ببساطة وسلاسة، بطريقة تؤكد لكل من يستمع إليه أنه بعيد جدا عن الكذب والادعاء.

لقد تعودت أن أمنح الناس كامل المساحة عندما يتحدثون، أتركهم للاستطراد والحديث دون مقاطعة حتى يقعوا في فخ النسيان، وتبدأ الأكاذيب في محو بعضها البعض، لتظهر في النهاية الحقيقة المجردة.

قصة الشيخ جمال كلها قابلة للتفنيد والنقد، إذا أردت أن أريح عقلي وألجأ إلى أسهل الحلول كما فعل العقيد سامح، وأقنع نفسي بأنه نصاب زنيم.

ولكني كنت أريد الحقيقة المجردة لا قناعتي الشخصية، فكما يخبرني حدسي، إن هذا الرجل المخيف المقيد الذي لا تفصلني عنه إلا مساحة نصف متر، يحمل في جوفه سر رهيب.

وحتى هذه اللحظة، ومع كل ما أخبرني به من قصص وقدرات، لا أعرف كيف استطاعوا اعتقاله، والتحفظ عليه في هذا المكان.. هناك سر خطير لم يجهدوا

أنفسهم للبحث عنه، خلف استسلامه المريب هذا.. وعلي بقدراتي الصحفية المتفوقة أن أكتشفه.. وكما يخبرني حدسي أيضا، إنني أمام كنز معرفي هائل، بوابة إلى العالم الآخر مشرعة أمامي وتطالبني بالدخول.

لذا قاطعته قائلا:

- " أعذرني يا شيخ جمال، وإن كانت هيئتك الحالية لا تسمح بحصولك على هذا اللقب، فدعنا نرفع الألقاب و".

ابتسم ابتسامة خفيفة وترتني، ثم قال:

- " أشعر بكم الأسئلة التي تدور في عقلك، وسأجيبك عنها دون أن تسأل، فقط دعني ألمس يدك، أنت تبحث عن البداية، البداية التي تسبق كل ما حكيته".

نظرت له في دهشة بعد أن قرأ ببساطة كل ما يدور في عقلي، ربما هي الفراسة التي يتمتع بها النصابون، ولكني لا أرجح هذا.

توتر الحارسان اللذان يشهران سلاحيهما منذ عدة ساعات، وقد أصابهم ما قصه على مسامعنا برعب إضافي، ضاعفه طلبه الأخير، لدرجة أن العرق كان يتفصد عن جبينهما برغم الغرفة المكيفة التي نجلس فيها، فأشار لهما العقيد سامح ليثبتا في مكانهما في نفاذ صبر، وكانت هذه الإشارة موافقة ضمنية على أن أمد يدي باتجاهه.

فعلتها، فمد يده المقيدة وقبض على يدي بقوة كادت تهشمها جعلتني أفزع للحظة، قبل أن يخفف من قبضته، والتي شعرت بها باردة كالثلج قبل أن يغمض عينيه، ويتمتم ببضع كلمات غير مفهومة، لأشعر في رأسي بنيران شديدة قبل أن يظلم كل شيء، وأرى نفسي بعدها في مكان غريب وعجيب بحق.

كنت في قرية مصرية عادية جدا، شوارع نظيفة، وأطفال مغبرون يلهون في شوارعها بألعاب بدائية، لا يعلمون شيئا عن الأجهزة اللوحية، أو الإنترنت. قرية قائمة على الفطرة، ولا يشغلها العالم الخارجي،

يعيشون على الزراعة والمقايضة، ويعيشون صراعاتهم الداخلية.

كنت هناك بوسيلة مجهولة، أرى كل شيء ولا يراني أحد، وهذا جعل قلبي يخفق بشدة، خاصة عندما رأيت أمامي أم محمود، بوجهها الطيب، وجلبابها الأسود الذي زين صدره ببعض الكشكشة وكلفة من نفس النوع، وتغطى رأسها المعصوب بشال حال لونه.

عجوز جداً أم محمود، أتى الزمن على كل شيء في جسدها بقسوة، ولكنها مازالت تقاوم..

وهي من يقصدها النساء في تلك القرية النائية لطلب البركة والرقية، فليس هناك طفل لم يمر عليها لترقيه أو لتستخدم ريقها الغليظ في منحه البركة أو علاجه من التمزق .

أم محمود هذا اسمها وهو من الأسماء المركبة التي لم تعد شائعة هذه الأيام، فهي تزوجت مرة واحدة، ولم

تنجب، كما أخبرت إحدى نساء القرية والتي كان من الواضح أنها تعمل كخاطبة..

لم يستجب رحمها لدعائها ولا لبركة يديها، ولم تحب وهي في شرخ شبابها الأول أن تعيد التجربة، فكل الرجال كريهين ويمثلون كل ما تبغضه في الوجود، فما الفائدة من أن تظفر بأحدهم مرة أخرى لتعيد تجربتها المريرة.

كان لديها أخ وحيد مات غريقا، وظلت تبكي على جثته التي لم يعثروا لها على أثر، فلم تعرف له قبرًا إلا قلبها.

إنها وحيدة، ككوكب فقد مداره فانطلق يضرب في الفضاء المظلم بغير هدى. حياتها كانت تسير على وتيرة لا تتغير..

الصلوات، الدعاء، البكاء على الراحلين وما أكثرهم، وزيارة المقابر، واستقبال المريدين يوميا من بعد صلاة الفجر وحتى أذان الظهر.

أيامها ظلت متشابهة، وكئيبة حتى ظهر لها الشيخ وحيد ذات ليلة خريفية باردة، كانت تظن أنه الخضر وقد جاء يبشرها بالبشارة، ولكنه أخبرها أنه ليس هو، ولكنه مثله شيخ منحه الله العلم فلم يبخل به على عباده، وأنه جاء ليحذرها من ذلك الخطر المدلهم الذي قرر أن يزور قريتهم، وأخبرها أن القدر اختارها لتتصدى له ببركتها.

استراح له قلبها مع وجهه المضيء العامر بنور التصوف والإيمان، على الرغم من أنه أثار فزعها عندما خرج إليها من قلب العدم، ولكنها اطمأنت له في النهاية ومنحته ثقتها، ليخبرها بالهول القادم .

هناك من عبث ببعض الأسرار القديمة، وطرق أبوابًا لم يكن له أن يطرقها ومنها تسلل الشيطان، الذي سيستهدف كل فتيات القرية.. عن طريق عبد الودود عمدة القرية الذي يمارس السحر الأسود، وهي معلومة قديمة يعرفها جميع أهل القرية. إنه دجال ولكن لا أحد يستطيع أن يوقفه أو يمنع قسوته وجبروته، وشبابه الدائم المخيف.

هي تعرفه جيدا، وإن كانت لا تحبه ولا تطيقه خاصة بشاربه الضخم الذي يشبه المكنسة، إنه يذكرها بشخصية عتريس الجد في فيلم شيء من الخوف، والذي كان يقتل القتيل ثم يتصدر لجنازته بكل برود.

إنه الشر الخالص، الشر المفزع المسيطر بجبروته على كل شيء في قريتها، الشر الذي لا يستطيع أحد إيقافه أو اعتراض طريقه.. وكان عليها برغم هرمها وعجزها، أن تساعد فتيات القرية في مواجهة خطره المجهول، قبل أن يحرضهن الشيطان على فعل الرذائل وإفساد القرية.

لم تكن تعرف لماذا اختارتها الأقدار من أجل هذه المهمة؟ ولكن جزء منها ظل يخبرها أنها قادرة على التصدي لهذا الشر المجهول، دون أن تدري كيف؟.

لذا كنت أراها، برغم سنها ووهنها، تربض بالقرب من ترعة القرية القريبة التي أشرفت على الجفاف، ونسمة باردة تداعب عظامها وتصيبها بالقشعريرة.

إن الشتاء على الأبواب، وهذا لا يناسبها أبداً، فالبرد هو عدو كبار السن رقم واحد .

كان منظرها مثيرا للشفقة وهي جالسة أمام ركية نار أشعلتها ببعض الأغصان الجافة، إنها لا تستطيع احتمال البرد، فكيف تتصدى لخطر مروع كالذي أنبأها به الشيخ العجوز .

رأيتها تنثر حولها في دائرة غير منتظمة، كمية من الملح. بل ما يكفي لإنشاء منجم منه، إنه الوسيلة الحاسمة والفاعلة ضد تلك الشرور التي لا تنتمي إلى عالمنا، والتي قررت دون معرفتها للسبب الحقيقي أن تظهر الآن .

تُرى ما الشيء الشرير الذي يقوم به عبد الودود عمدة القرية، والذي أيقظ هذه الشرور من مرقدها .

الرياح تعوي من حولها ، ونباح الكلاب المتواصل يوتر أعصابها .

حمدت الله في سرها أنها لم تنجب، وإلا لماتت قلقا على ذريتها في هذا الوقت العصيب.

وبرغم توترها وقلقها، مرت ساعات الليل الأولى دون منغصات، حتى أن النوم كان يهاجمها بضراوة وكانت تستجيب له لدقائق قبل أن تستيقظ فزعة، لتمد النار المحتضرة بمزيد من الأغصان الجافة، التي تحيي جذوتها وتعيد بث الدفء إلى عظامها الواهنة .

القمر يعتلي قبة السماء، وينعكس على مياه الترعة القليلة ليمنحها بعض الونس، وإن كان يغتال ضوئه كل فترة بعض الغيوم التي تبشر بقرب موسم الأمطار .

وفي تلك اللحظات التي تسبق انبلاج الفجر، وهي الفترة الأكثر عتمة حتى أنك لا ترى كفيك فيها، صمت كل شيء وساد هدوء يحمل من النذر ما يفوق تحمل الأعصاب.

وعلى البعد وتحت ضوء القمر الشحيح، ظهر موكب الفتيات الصامتات، يتقدمهن بعدة خطوات راجية ابنة

عبد الودود عمدة القرية، صوب المكان الذي تتخذه العجوز أم محمود معسكرا لها، وعلى وجوههن نظرة خرساء، وقد أطلقن شعورهن الناعمة في عشوائية، ولطخ وجوههن أصباغ داكنة جعلتهن أشبه بالجثث الباردة التي خرجت لتوها من أعماق قبر.

توترت أم محمود العجوز في جلستها ولكنها لم تنهض، فقط منحت للنيران بعض الأغصان الجافة، التي أخذت تقرقع بصوت خافت، والنار تلتهمها في جشع.

أحيا اقترابهن الصامت بعقلها، ذكرى بعيدة لم تمسك بأحبالها للنهاية، ففركت عينيها لتطرد شوائب النوم منها وأخذت تتبع اقترابهن الذي يشبه مسيرات الجنائز، وفي يد راجية كان هناك ما يشبه الرمح أو ربما هي عصا طويلة لا تدري فيم تستخدمها مع مظهرها المروع هذا.

انقبض قلبها العجوز عندما وقع بصرها على ملابسهن التي تخضبت بدماء طازجة لم تجف بعد، وجعلها هذا المشهد تنصب جذعها النحيل وهي تقبض في قوة

على سكين المطبخ التي أحضرتها معها، والتي لا تملك سواها كسلاح تدافع به عن نفسها ضد الشرور المجهولة التي خرجت لمواجهتها.

أية حماقة جعلتها تخوض في مثل هذا الأمر؟.

اقترب منها موكب الفتيات ثم تجاوزنها دون أن يعبأن بوجودها نحو الترعة القريبة، قبل أن يخضن فيها بثيابهن.

وكون ستة من الفتيات دائرة حول راجية التي جلست بثيابها بقلب المياه الباردة دون أن تظهر على وجهها أية آثار لضيقها من برودة المياه في هذا الجو القارص شديد البرودة، وهي تقبض على الرمح الذي تحمله في قوة، قبل أن تتبعها الفتيات في الجلوس حولها في نفس الدائرة، لتغمر المياه نصفهن السفلي ليبدأن في الغناء بصوت رخيم، جعل أم محمود العجوز تنتفض في مكانها وتتوتر ويتصلب عمودها الفقري ، وتردد:

- " الرحمة يا إله الكون ".

إنها تعرف هذه الترانيم جيدا.. بل تحفظها عن ظهر قلب، هي من ترجمتها ذات يوم عن تلك البردية الفرعونية القديمة، التي منحتها لها جدتها.

إن بعض الذكريات التي لم تكن تعلم عنها شيئًا تعود إلى ذاكرتها القوية لتهدم توازنها النفسي والعصبي.

اللعنة.. إنها لم تكن الخير الذي اعتقدته في نفسها ذات يوم.

نظرت نحو الفتيات المنهمكات في ترديد تلك الترانيم الفرعونية الجنائزية، ثم تذكرت تلك الطقوس، وتذكرت وجه الشيخ وحيد.

كيف تاهت عنها تلك التفاصيل.

إن وجه الشيخ وحيد هو وجه عبد الودود مضاف إليه لحية، وجمة خضراء على الرأس.

إنه فخ إذن .

انتفضت من مكانها وهي تقبض على سكين المطبخ في قوة، وفي عقلها لم تكن هناك غير فكرة واحدة .

الفرار .

تحركت بضع خطوات لم تقطع بها سوى أمتار معدودة، بقدميها الواهنتين ثم توقفت عندما صمتت الترانيم، واستدارت فزعة تتطلع نحو الفتيات اللاتي غادرن الترعة في هدوء وتوجهن صوبها بخطواتهن الواثقة، وعيونهن المليئة بالشر تنذر بما عزمن عليه، والمياه تتساقط عن ملابسهن لتغرق الأرض الترابية في مشهد مخيف .

كاد قلبها أن يتوقف وسيل من الذكريات يغمر عقلها.

إن هذه الترانيم الجنائزية، ليست نوعًا من الطقوس فقط ولكنها حكم مخيف..

حكم بالإعدام .

إنها تتذكر الآن ..

إنها كبيرتهم، إنها من لقنت عبد الودود كل ما يعرفه من علوم سحرية، إنها من ألقت بالعزائم على الأطفال والنساء والرجال ليظلوا تحت طوع عبد الودود، إنها أصل الشر في هذه القرية .

وأيقنت أيضا أن عبد الودود لا ينوي أن يبر بوعده، لقد منحته كل شيء مقابل أن يمنحها النسيان، فقط النسيان، إنها لم تكن قادرة على الحياة بعد أن فقدت زوجها التي تعشقه، فهل استكثره عليها.

لماذا عاد ليطاردها الآن ، لماذا الآن ؟.

لقد أصابها العقم بسبب ممارستها للفنون السوداء والسحر، كما أن زوجها مات لنفس الأسباب، كراهيتها للرجال كانت تعويذة مظلمة أخرى كي تظل على عهدها الذي قطعته عند قبر زوجها يومًا ما في شرخ شبابها.

كان موت زوجها هو القشة التي قصمت ظهرها، فقررت أن تحيا حياة بديلة، دون زواج ودون رجال،

بعيدا عن ذكريات وأحداث الماضي وشروره ، فلماذا يحدث لها الآن كل هذا ؟ لماذا يطاردها عبد الودود ولماذا جعلها تتذكر ؟. و..

وفي لحظة واحدة استوعب عقلها الحقيقة القاسية..

يا لها من حمقاء، كيف غاب عنها أمر بسيط كهذا؟

إنها راجية.. راجية ابنة عبد الودود.

إذن فهذه هي خطة هذا الحقير عبد الودود.. إنه يريد لابنته أن تحل محلها، أن تصير (المخاوية)، إنه يريد السيطرة على زحف الزمن، وعلى هبة الشباب.

نعم ذلك الحقير خدعها منذ البداية، وكان يبيت لها نية غادرة، فقط كان ينتظر الوقت المناسب، وهي منحته كل الوقت بانسحابها من الساحة.

إنها تقرأ الآن النجوم، وتعرف أنه اليوم المحتوم، ولكنها لن تسمح له بإتمام مخططه المخيف، لن تسمح

للشر بأن يستمر من بعدها، حتى ولو كانت حياتها هي الثمن .

وفي لحظة واحدة أدارت السكين الحادة نحو صدرها لتنهي حياتها بيدها، لدرجة أن حد السكين قد مزق جلبابها الأسود وجرح جلد صدرها المتغضن.

وعندما همت بإغماد السكين الحاد بداخل صدرها، وجدت نفسها في اللحظة التالية مطروحة على الأرض تئن وقد كبلتها أيدي الفتيات المبتلات في قوة آلمتها، في حين وقفت أمامها راجية وفي يدها الرمح المطلسم مشهرًا، وقد كسى وجهها الملطخ بالأصباغ ابتسامة ظفر، قبل أن تقول في وداعة لا تناسب وجهها الذي شوهته الأصباغ :

- "حنانيك يا أم محمود.. أم أقول يا أمنا المخاوية ".

لم تخرج من أم محمود إلا بصقة قوية لم تصل لوجه راجية، التي أخذت تقهقه في قوة وهي تقول :

- " قليلات من رأيتهن يملكن الشجاعة لينهين حياتهن بأيديهن، لا تعتقدي أني منعتك من إتمام الأمر لأني أهيم بك غراما، إن انتزاع روحك لن يتم إلا على يد العقرب، أم نسيتِ نبوءة جدتك" .

توتر جسد أم محمود في قوة، وحاولت أن تتملص من الفتيات اللائي قيدنها في إحكام، لتشعر بآلام شديدة في عظامها الواهنة، قبل أن تقول في شراسة وذكرى قديمة أخرى تصدم روحها، ذكرى مليئة بالعقارب :

- "ما تسعين إليه يا ابنة عبد الودود لن يتحقق ، لا يوجد عقرب في الوجود من الممكن أن يصيبني بأكثر من الحمى، لا يوجد مكان في جسدي خلا من لسعة عقرب، لقد احتطت لهذا اليوم جيداً ".

أطلقت راجية ضحكة شيطانية قبل أن تقول :

- "يبدو أنك تقرئين الغيب بطريقة حمقاء يا أمنا المصون، إن لعنتك أن يقتلك العقرب، ولكن ليست العقارب وحدها هي من تحمل السم، أنا عقربك القاتل

..أن من ولد في برج العقرب ، فهل احتطت لهذا الأمر أيضا ؟".

غارت الدماء من وجه أم محمود وظهرت على وجهها ملامح رعب عاتية، وجسدها ينتفض في قوة، لم تكن تخشى الموت بل هي تسعى إليه طوال عمرها، ولكنها تخشى تلك النتيجة التي ستحدث بعد موتها.

إنها ملعونة منذ كانت تمارس السحر الأسود مع جدتها، ملعونة منذ ربطت مصيرها بلعنة ظنتها لن تتحقق لمجرد أنها رغبت في النسيان، وحلمت بحياة طبيعية لا يقهرها فيها الشعور بالذنب أو تأنيب الضمير أو الشوق لزوجها الراحل.

لقد وافقت على أن توصم باللعنة كي تحظى بحياة بديلة، وكان جسدها قد تحصن بألف لدغة عقرب، ولكنها نسيت أنها برج الجوزاء، وأن العقرب في الأساطير قتل الجوزاء.

" لا هرب من المحتوم أيتها العجوز".

وهذا ما نطقت به راجية وهي توجه رمحها صوب قلبها الذي يكاد يتوقف وحده من التوتر، ذلك الرمح الأثري الثمين الغارق رأسه في سم العقرب المختلط بسم عضوي آخر، لتتم مهمتها :

- " أنتِ جوزاء، والعقرب دائما ما يهزم الجوزاء.. لم تكن الأساطير هراء على كل حال، وقد آن لكِ أن تتقاعدي ".

غارت الدماء من وجه أم محمود، الذي سكنه رعب الدنيا، وجفت شفتيها، وازرقت وجنتاها من برودة الجو المتصاعدة، خاصة وأن النيران تحتضر على بعد عدة أمتار من موقعها .

نظرت نحوها راجية وعلى وجهها نظرة فهم شيطانية، قبل أن تطلق صرخة عالية تتبعها ضحكة ماجنة شقت هدوء الليل قبل أن تقول :

- " يا إلهي ما هذه النظرة المذعورة يا كبيرتنا.. هل تذكرت حقيقتك بالفعل، هل تذكرت أنك واحدة منا..

هل تذكرت أنكِ من قمتِ بتحويلنا وإخضاعنا.. إنه وقت رد الجميل، يا عنفريسة" .

كان موقفًا مثيرًا للسخرية أن تتحول أم محمود إلى عنفريسة، لا يوجد منطق في الكون يمكن أن يتقبل مثل هذا التحول .

إن منظرها بالجلباب المتسخ والطرحة البلدي وذلك الخف الجلدي البالي ، لا يمنحها لقبًا أكثر من أم الخير .

أما عنفريسة .. فهو اسم مخلوق مما وراء هذا العالم.

هناك سر خلف هذا الاسم الذي لم تسمعه منذ زمن بعيد، وهم يعرفونه الآن، وهي تتذكره، ويرتج منه كيانها.

وعندما استرجعت تلك الذكرى انتفض جسدها في قوة، واعتراها خوف رهيب.

إنها تذكره ..

تذكر قرنيه القصيرين ..

تذكر أنيابه الحادة، ورائحته الشنيعة، وحرارة جسده المريعة وضمته التي كادت تهشم عظامها ، وأثر كفه على ظهرها.

إنها تذكر نفسها وهي شابة لم تتجاوز الثلاثين عاما، كانت قد أتقنت جانب كبير من الفنون السوداء التي علمتها لها جدتها الراحلة، بل وخاضت في العلوم المحرمة ، واستطاعت استحضار الشيطان .

لم يكن الشيطان الأكبر نفسه، ولكنه كان أحد أتباعه المخلصين، وليتم العهد بينهما، كان لابد من الالتقاء والتوحد بين الجسدين .

عاشرها الشيطان كالأزواج طوال ليلة كاملة رأت فيها الموت عشرات المرات ،واحترقت أحشائها من هول ما تخوضه، فجعلها عقيمًا، ثم منحها الاسم.

عنفريسة ..

وجعلها الأم المخاوية، ثم منحها العهد ليخبرها أن للعهد ثمن لابد من دفعه، وكان الثمن حياة زوجها.

زوجها الذي عشقته كما لم تعشق من قبل.. زوجها الذي كانت تحلم بالخلود ليظلا معاً إلى الأبد.. لم تستطع تحمل الصدمة، كانت على وشك الجنون، لم تعرف ماذا تفعل ولا لمن تلجأ، عندما طلبها عبد الودود، وأخبرها أن لديه العلاج ولكنه ليس مجانيا، ومنحها النسيان في زجاجة.

أكسير مخلق من مواد يقال أن إحداها أتى من قلب نيزك انفصل ذات يوم عن القمر، ومنحته هي كل علومها وسر الشباب الدائم، فظل على شبابه حتى أصابها الهرم .

المشكلة الكبرى أنه مع موتها سينتهي العهد الذي وثق بينهما، وسيعود عجوزا كما كان، ولم يتبق في حياتها إلا القليل، إلا إذا..

وجعلها الأم المخاوية، ثم منحها العهد ليخبرها أن للعهد ثمن لابد من دفعه، وكان الثمن حياة زوجها.

زوجها الذي عشقته كما لم تعشق من قبل.. زوجها الذي كانت تحلم بالخلود ليظلا معاً إلى الأبد.. لم تستطع تحمل الصدمة، كانت على وشك الجنون، لم تعرف ماذا تفعل ولا لمن تلجأ، عندما طلبها عبد الودود، وأخبرها أن لديه العلاج ولكنه ليس مجانيا، ومنحها النسيان في زجاجة.

أكسير مخلق من مواد يقال أن إحداها أتى من قلب نيزك انفصل ذات يوم عن القمر، ومنحته هي كل علومها وسر الشباب الدائم، فظل على شبابه حتى أصابها الهرم .

المشكلة الكبرى أنه مع موتها سينتهي العهد الذي وثق بينهما، وسيعود عجوزا كما كان، ولم يتبق في حياتها إلا القليل، إلا إذا..

إلا إذا انتقل العهد لساحرة أخرى تقتل الأولى، وتخوض الثانية نفس الطقوس التي خاضتها الأولى ، وتقدم نفس التضحيات والقرابين.

المخيف أنها لا تذكر أنها أخبرت عبد الودود بكل هذه الحقائق المروعة، إنها لم تكن حمقاء لهذه الدرجة.. لا يمكن أن تكون منحته سرها، وطريقة القضاء عليها بهذا الشكل.

هل استطاع بوسائله الشيطانية اختراق عقلها؟.

تذكرت كل هذه الأحداث، تذكرت يوم أن مس الشيخ وحيد رأسها وفقدت الوعي بين يديه، تذكرت تلك اللحظة الفاصلة، واسترجعتها بمرارة، قبل أن تهوي الطعنة القاتلة لتخترق أحشائها، ليجتاحها الألم الرهيب.

في الصباح وجدوا أم محمود مخوزقة فوق رمح ذي رأس معدني مسمم مغروس في قلب الترعة، وأعضائها ممزقة بعشرات الطعنات ورأسها مسلوخ

الجلد، وقد رسم على جلدها المتغضن ما يشبه علامة فاي الرياضية بالدماء.

قبل أن تقيد الحادثة ضد مجهول ، وتنتهي حكاية أم محمود، أو عنفريسة .

وهنا دوى في عقلي صوت جمال رضوان القاسي ليقول متسائلا:

- " ولكن هل انتهت حقاً؟!."

لم يكن ينتظر مني ردًا، فأكمل ليجيب على نفسه قائلا:

- "بالطبع لا أيها الصحفي الهمام.. إن جدي هو عبد الودود، وأمي هي راجية بنت عبد الودود، نحن من سرقنا رمح الكاهن الفرعوني من مقبرته السرية، نحن من قتلنا عنفريسة، ونحن من نحمل العهد الدموي.

هذه هي البداية أيها الصحفي الهمام، فهل مازال عندك شك في كل ما سمعته مني؟

كنت في حالة ذهول تام.

عقلي مشتعل بآلاف الأسئلة.

وكان هو هناك للإجابة.

(9)

عندما فتحت عيني، ونظرت إلى سامح والجنديين المسلحين، أدركت أن تلك الرحلة الرهيبة السابقة لم تستغرق سوى ثانية واحدة، انطباعات الوجوه نفسها لم تتغير لحظة منذ تركتهم بعد أن مستني يد شيطان الانس اللعين، جمال رضوان، لأخوض معه تلك الرحلة المخيفة لأعماق الماضي.

فقط وجهي هو ما كان يحمل كل ذهول ودهشة الدنيا ورعبها، وهذا جعل سامح يسألني إن كنت بخير؟

اكتفيت بأن هززت رأسي له مؤَمنا، وأنا أستعيد الهول الذي عايشته خلال التجربة السابقة، وأفكار مخيفة تدور في عقلي المنهك.

الشيخ جمال رضوان من عائلة سفاحين، لا تتورع عن سفك الدماء لنيل مآربها، ولا تؤمن إلا بالقوة، ولولا وهنه وضعف ذاكرته في السابق، لم يكن ليحيد عن هذا الطريق، كما أنه باع روحه لكاهنات الثالوث، ومن

يفعل هذا متوقع منه فعل أي شيء مهما كانت شناعته، أو خروجه عن الفطرة والطبيعة السوية.

الجالس أمامي مبتسما الآن ساحر ومشعوذ وقاتل، ويعترف بهذا أمام عقيد حالي، وصحفي فضولي.

في الأمر سر غامض سأكتشفه عاجلا، أو آجلا، ولكن علي الآن أولا، أن أرضي فضولي الصحفي، وأسد تغرات قصته، فقلت متسائلا:

- " ما هو حزام يائيل، ومن هو يائيل نفسه؟".

نظر نحوي بصمت لعدة ثوان قبل أن يقول:

- "هي رحلة أخرى لو أردت خوضها".

رمقني سامح بغير فهم، فهززت له رأسي بأني سأخبره كل شيء فيما بعد، فظهر على وجهه بعض الضيق وأشار بأن أستمر، فقط لتنتهي هذه الليلة السوداء.

مددت يدي للمرة الثانية في هذه الليلة المرهقة نحو جمال، متوقعا قوتها وبرودتها، وتأثيرها، ثم كسا الظلام كل شيء، وهنا وجدت نفسي في آخر مكان ممكن أن أتخيله.

فوق أعلى قمم بلاد التبت، حيث هضبتها التي يطلق عليها الجيولوجيون سقف العالم، بداخل كهف شديد الاتساع بشكل لا يصدق، تضيئه المشاعل.

كهف مليء بالهوابط الحجرية، والصخور الناتئة، لا يوجد به إلا كاهن عجوز له هيئة كهنة التبت بذقنه الطويلة الناعمة ورأسه الصلعاء، وثيابه ذات اللون الأصفر المريح، وإن كانت ملامحه لا تشبههم قط.

ملامح شرقية، أو عربية لو أردتم الدقة.

وهو ليس أغرب شيء أشاهده في هذه الليلة.

كان يجلس جلسة اليوجا الشهيرة بثيابه الخفيفة وسط الثلوج دون أن يظهر عليه أي مظهر من مظاهر

الشعور بالبرد، يرمق الأفق دون أن تظهر عليه أية لمحة من ملامح الحياة.

تمثال بشري متقن الصنع يمارس التأمل لساعات طويلة.

وفجأة ودون مقدمات، ظهر أمامه طائر عملاق الحجم يتجاوز طول كل جناح من جناحيه المترين، أسود اللون، له عينان براقتان، هبط بجواره في هدوء، دون أن يتحرك أو حتى يلفت انتباهه.

لحظات، وأحاط هذا الطائر الخرافي جسده بجناحيه كما يفعل الوطواط، ولأقل من ثانية أحاط به ضباب داكن، قبل أن يتحول إلى كاهن تبتي عتيد، يحمل ملامح أهل المنطقة، وإن كان أكثر شبابا، وقوة.

وبدون تأخير اتخذ نفس وضعية الجلوس، وغرق في التأمل.

شعرت للحظة بالملل رغم جمال المكان، فهل سأنتظر لساعات أخرى مشاهدا فيها جلسة التأمل الثنائية التي

لا تفاصيل فيها، وقبل أن تنتهي أفكاري، سمعت الصوت العميق يدوي بداخل عقلي:

- " تبدو مضطربا يا جامبو، ما الذي حدث ولم أحط به خبرا".

يدوي صوت جامبو في رأسي قويًا ومضطربًا بالفعل، لأدرك أن الحديث يتم بينهم عن طريق التليباثي، أو التخاطر، وأن درجة حرارة الحوار، تختلف تماما عن مظهرهم الهادئ المتجمد فكان جامبو يقول:

- " لقد تأخرنا كثيرا يا سيد يائيل، الذعر دب في كل مكان في هضبة التبت، لم يعد هناك مكان آمن، والأطفال يختفون طوال الوقت، من نعثر عليه نجده جثة هامدة، خالية من الدماء، عليها علامة العابر".

صوت يائيل يظهر عليه القلق، وهو يقول:

- " هل تحرقون الجثث؟".

أجاب جامبو بتوتر:

- " على الفور، وبدون مراسم دفن أو تكريم، إن الأمهات الثكلى في تزايد، والعنف في القلوب، لا أعرف لمتى نستطيع السيطرة على الوضع قبل انفلاته، عليك أن تفعل شيئًا لإغلاق الثغرة".

يسود الصمت لدقيقة كاملة بعد جملة جامبو، قبل أن يقول يائيل:

- " الأمر أكبر مني ومنك هذه المرة يا جامبو، الثالوث يحاولن فتح ثغرات دائمة، وممرات عبر العوالم من أجل تجارتهن الدنسة، وهذا جعل ذلك المخلوق مصاص الدماء يتسرب إلى عالمنا، ولولا إحراق الجثث بسرعة، لصار لديه جيش كامل من مصاصي الدماء يعاونونه في مخططه، علينا العثور على المخلوق قبل أن نفاوض الثالوث، وفي هذا الوقت، أريد منك أن تجمع لي هنا قبل الزوال، كل سحرة التبت فلدي خطة".

رد عليه جامبو قائلا:

- " قبل الزوال سيكون الجميع هنا، وبالنسبة للمخلوق مصاص الدماء، فعشرة من كهنتنا يقتفون أثره، ويحرقون الجثث التي يخلفها في طريقه".

تساءل يائيل بروح قانطة، وإن كان يعلم الإجابة مسبقا:

- " وكم فقدتم منهم حتى الآن؟".

أجاب جامبو في حزن:

- " خمسة حتى الآن".

ثم صمت للحظات، وكأنه يستقبل خبرًا سيئًا، قبل أن يقول:

- " السادس سقط الآن".

رد عليه يائيل في صرامة:

- " ادفع بالمزيد، بل ادفع بالجميع ولتكن على رأسهم، وقبل الزوال تكون عندي بجثته، بل وقبل أن أجتمع

بالسحرة، الأمر خطير بالفعل ولن يكون أول آخر متسلل إلى عالمنا، لا تهاون ولا رأفة، اذهب الآن".

قالها فعاد الصمت، وأحاط الضباب بالكاهن التبتي جامبو، ليتحول في لمح البصر إلى هيئة الطائر الأسود العملاق، ويندفع نحو السماء، بينما تابعت عينا يائيل، خيوط الدخان التي بدأت تخرج من قمم الجبال المحيطة لتدعو الجميع للحضور إلى الاجتماع، الذي يعتبره يائيل اجتماع حرب.

وبسرعة تبدل المشهد أمامي.

لم يتغير المكان، ولكن وعي يائيل هو من قطع مسافة هائلة عبر الأثير، وبدأ يتوسع بشكل لا يمكن تصوره، لم يكن ينتشر عبر هضبة التبت وحدها، بل كان يتوسع ليشمل الكوكب بأكمله، قبل أن ينحصر، ليحيط بفجوة متزايدة في الحجم كانت تظهر كاضطراب عجيب بين السحب الداكنة، التي لم تبدُ طبيعية هي الأخرى، والتي تخفيها خلفها.

تأملت الفجوة بقلب منقبض، ورأيت بمنتصفها، ما يشبه الإعصار الذي تتفجر من حوله صواعق عاتية من برق أحمر دموي، حددها يائيل بنوع خاص من السحر، قبل أن يعود عقله لهدوئه ويعود هو للتأمل ليستعيد جسده طاقته الكبيرة التي فقدها في تحديد مكان الثغرة.

ولهذا كان يشعر ببعض الراحة، فأن تحدد مكان عدوك هو نصف النصر.

وبقي فقط أن تعينه علومه، وخبراته على أن يتوصل لطريقة دائمة لإغلاقها أو على الأقل ردعها.

ومع الوقت، وبعقله شديد التنظيم، أخذت ملامح فكرة تتكون وتتشكل في عقله، وإن كان صداها يبث في روحه طاقة سلبية هائلة.

فكرة تتطلب استخدام سحر الطبيعة، وسحر التضحية، لقهر السحر الشيطاني القوي الذي يحافظ على وجود الثغرة.

سيتطلب الأمر، خوض الطقوس الرهيبة، والتضحية بساحر قدير.

وكانت هذه آخر فكرة ترددت في عقله، قبل أن يعتم وعيه تمام، ويتوقف بثه العقلي.

لم يطول إعتام وعي يائيل لفترة طويلة، وعندما عدت له وجدته على نفس جلسته، وكان النهار على وشك المغيب، وهذا جعلني أتساءل في دهشة، ألا يأكل أو يشرب، أو يقوم بالإخراج ككل كائن حي آخر.

وانشغلت بالبحث عن الإجابة، عندما لمحت في السماء، عشرات من الطيور هائلة الحجم تتوجه نحو يائيل.

ميزت طائر الرخ، والسمندل المشهور بالعنقاء، والصقر، والنسر، والغراب، وأحدها كان ذئبا له جناحان، ولم أسطع تمييز باقي الطيور بهيئتها العجيبة.

كنت أعرف أنهم مجموعة السحرة الأفذاذ، اللذين طلب يائيل من جامبو حضورهم.

على حين أن ما لفت انتباهي أكثر بعد أن أزال كل منهم تحوله، وعاد لهيئته البشرية، هي تلك الجثة الغريبة التي كانت ممزقة عند الصدر، وقد نشب في صدرها رمح حاد صنع من السنديان الأبيض، وحولها تراص السحرة جميعا في دائرة كبيرة على سفح الجبل ووسط الثلوج.

وأحاط الكهنة بالجثة في دائرة أصغر، بينما كان يائيل في مركز الدائرتين، وسط الصمت الهائل الذي لا تقطعه إلا أصوات الرياح.

وكنت أنا أحترق من الفضول لأعرف سر هذا المخلوق، وما سيدور في هذه الجلسة العجيبة، التي لم تدون في التاريخ المعروف قط.

ثم بدأ الحوار العقلي الجماعي، فوجه يائيل سؤاله إلى جامبو قائلا:

- " ألم تعثروا على الكاهن المصاب؟".

أجاب جامبو على الفور:

" الجميع في أثره، وفرقة خاصة تتولى الآن تمشيط كل مكان في التبت، لتدارك ما فات الكهنة في صراعهم مع المخلوق مصاص الدماء".

صمت يائيل قبل أن يقول:

" الأمر أخطر مما تتصور، فالكاهن بعد أن تحول ركن إلى الثبات، بمساعدة خارجية، ولن يستطيعوا العثور عليه قريبا، اجعل الجميع يعودون لمحو أثر ما حدث من العقول، وسنبدأ نحن الآن، خطتنا، وبعدها سيكون تتبع هذا الكاهن، هو هدف عمرك القادم".

تنبه الجميع لجملته الأخيرة، وخلال دقائق، دار نقاش عقلي رهيب، علمت من خلاله، أن الثالوث ضحى بأحد سحرة الكيون حلفائهم، وهم مخلوقات تحيا في بعد مختلف للأرض، يمتازون بالقوة الروحية العالية، من أجل فتح الثغرة، واستخدموا نوعًا من السحر المحرم، لتعزيزه.

والحل الوحيد أمامهم هو عكس تلك الطقوس، واستخدام نفس السحر، سحر التضحية.

لم أعرف بالطبع من أين أتى يائيل بكل هذه المعلومات، ولا كيف حدد وسيلة النجاة، ولكن الجمع كان موقن من نجاحها، فقط ما كانوا معترضين عليه، أن التضحية الكبرى، سيقوم بها يائيل بنفسه.

وبعد ساعات، ومناقشات عاتية، هزمت إرادته إرادتهم، ثم بدأت الطقوس والهول.

في البداية قاموا بإحراق جثة ذلك المخلوق مصاص الدماء الذي برغم موته، كان يصرخ ويتلوى وسط تلك النيران التي اشتعلت في جسده من العدم، والتي لم أر مثيلا لها في حياتي.

والتي كانت تبدو ألسنة لهبها كعشرات الأفاعي المخيفة، والتي أخذت تلتهم المخلوق بأنيابها المشتعلة، إلى أن تبددت جثته تماما، ولم يبق لها أثر.

وعلى الفور، وكأنما اختفاء جثة مصاص الدماء إشارة ينتظرها الجميع، انتهى الحوار العقلي، وتجمع السحرة والكهنة في صف طويل، وظهر في يد كل منهم خنجر مطلسم، له نصل حاد مصنوع من سبيكة معدنية سامة.

انتصب يائيل أمامهم وهو يردد تعويذة قديمة تصدعت لها الجبال من حوله، قبل أن يقول في صرامة:

- " الآن".

وخلال ساعة كاملة، كان كل ساحر منهم، يتقدم منه بوجه يكسوه حزن العالم، يقوم بخنجره بشق جزء صغير من لحمه، ثم يكبسه بالملح.

عدد الجروح كان رهيبا..

ومع النصال المسمومة، فاق الألم التخيل.

فتسميم دمائه، ستمنع أي وسيلة في الوجود من السيطرة عليه، وكبس الجرح بالملح نوع آخر من التحصين، ولإيقاف النزيف، كي يحتفظ بقوته حتى ينهي مهمته الرهيبة.

كبح يائيل ألمه بجهد أسطوري، ليضرب مثالًا هائلًا في القوة والتضحية، وهو يردد التعويذة دون توقف..

وعندما انتهى آخر ساحر منه.

كان يقف على قدميه بصعوبة، بعد أن تحول جسده لكتلة من الملح الدامي، ثم بدأت الترانيم ..

أخذ الجميع يرددونها، وتردد صداها عبر الثلوج، في حين تقدم جامبو من معلمه وصديق عمره يائيل، القادم من بلاد ما وراء النهر، وهو يحمل سائلًا خاصًا له رائحة نفاذة أغرقه به.

ثم صفق بيديه، لتظهر في يده شعلة من النيران، ما إن قربها من السائل ودموعه تغرق وجهه، حتى صار جسد يائيل كتلة من النيران، قبل أن يحيط به الضباب

ويتحول لرخ عظيم مشتعل، قطع السماء في سرعة عظيمة نحو الثغرة، وألقى بنفسه داخلها، ليحتويه الإعصار وتضربه الصواعق الدموية في عنف، ليتمزق جسده في لحظة واحدة، ويغلق الفجوة، ليسجد الكهنة جميعا احتراما لتضحيته، وجامبو يقول في وجع رهيب:

- " وداعا يا صديقي.. وداعا".

وبعدها توهج ضوء لحظي حول الكوكب كله، لم يرصده معظم سكان الأرض، ولكن رصده السحرة عبر العوالم، وسعد بعضهم بوجوده، وكرهه البعض، وتكون حزام يائيل الخفي، الذي أصبح أهم خط دفاعي للأرض ضد اختراق مخلوقات العوالم الأخرى.

وصمد حزام يائيل آلاف المرات، ولكن كان هناك مرات فشل معدودة، عندما كانت تنشأ بداخله ثغرة مؤقتة، وكان الكهنة والسحرة يعملون على تتبعها، وإنهاء خطرها.

ومن هنا ولدت الأساطير.

(10)

لم تستغرق هذه الرحلة المفزعة أكثر من سابقتها، وعدت أنا بقلب منقبض، وعقل مشتت، إلى أرض الواقع، مصدوم من هول المشهد، ألجمني الصمت على أثره لدقيقة كاملة.

وهذه المرة انتزعت يدي من يده الآثمة الباردة، قبل أن أوجه حديثي لصديقي العقيد سامح قائلا:

- " كيف استطعتم القبض على هذا الشيء، إن في الأمر فخ كبير؟".

وهنا أطلق جمال رضوان ضحكة رهيبة، بعد أن راق له ذهولي أثناء طرح السؤال، وقال وعيناه تشتعلان بنار حقيقية:

- " وهل يمكن أن يفعل أحد معي شيئًا دون رغبتي، هل أنبأتك حماقتك، بأن هناك شخص غيري متحكم في سير الأمور، أنا هنا برغبتي الكاملة، وكل شيء يسير حسب الخطة الموضوعة".

قالها فسقط الحارسان فاقدي الحياة وقد كسا وجهيهما زغب خفيف، وسقطت قيوده مهشمة قبل أن تتحول لرماد تناثر على الأرض الباردة، وأنا أتابع ما حدث بذهول بعد أن فقدت كل سيطرة لي على جسدي، أنا والعقيد سامح الذي كان من الواضح أنه يمر بصدمة عصبية هائلة لن يتخلص منها قريبا، قبل أن يستطرد جمال قائلا:

- " كان اسمها ليلى، وهي ابنة أحد قادة أكبر الأجهزة الأمنية لديكم، وكانت امرأة خبيثة، عبدت الشيطان، ونشرت عقيدته بين شباب مجتمعها التافه، وحصلت على مباركته، وتعمقت بعدها في دراسة السحر الأسود على يد ساحر متمرس من بورتريكو، هو أحد أكبر كهنة الشيطان في عالمنا، حتى صارت برغم صغر سنها ساحرة قديرة، بل بلغت مكانة عظمى لم تصل لها امرأة في هذا المجال، بعد أن أتقنت فنون الكابالا والفودو والنيكرومانسي.

وفي وقت قياسي لمع نجمها في تلك الأوساط شديدة السرية، حتى أنهم أطلقوا عليها لقب (ليليث النارية)

تيمنا بـ "ليليث" شيطانة العواصف، ولأنها كانت تقدم ضحاياها على مذبح مشتعل، ولا تعاقب أعداءها إلا بالحرق أحياء.

في النور كانت سيدة مجتمعات شهيرة، تقوم بأعمال خيرية لا تعد ولا تحصى، وفي الظلام شيطان رجيم، يعمل في تجارة الرقيق الأبيض، وتهريب الآثار من مقابر الفراعنة التي لم تكتشف بعد، والتي كانت تقوم بنفسها بفك الرصد عنها.

وتخرج من دور الأيتام التي كانت تشملها برعايتها، المئات من عبيد الجنس، والمحظوظين من قاطني هذه الدور، كانوا يقدمون كأضحيات للشيطان وأتباعه على مذبحها الناري.

لم تكن ليلى ساحرة طماعة وجشعة فقط بل كانت طموحة لدرجة خطيرة، وكان حلم حياتها؛ أن تصل إلى الخبيئة التي تحتوي على تابوت (حيرام) الأسطوري، الذي يحتوي على مخطوطات السحرة السبعة الأوائل التي كانت تشمل علم الغيب، والذي عن

طريقه كانت ستُلِمُ بعلم ما كان وما سيكون، والذي يمارسه بعض السحرة الآن بسذاجة.

والأهم أن التابوت كان يحتوي على خريطة تقود إلى حيث تقبع مومياوات هؤلاء السحرة المحنطة المخفاة في مكان شديد السرية والتحصين، والتي عن طريق استنطاقها كانت ستمتلك قوى سحرية مظلمة لم يملكها ساحر من قبل.

وكانت قد قطعت شوطا كبيرا في هذا الطريق، بعد أن توصلت لأول الخيوط التي تقود إلى تابوت (حيرام) عندما قامت باستنطاق جثة نادرة لساحر قديم تم تحنيطه كعقاب له، وهو على قيد الحياة منذ زمن سحيق، وعثر عليها بشكل غامض في أحد كهوف المكسيك المحجوبة، وتم تداولها في السوق السوداء للسحرة، وحصلت عليها هي بعد أن دفعت ثمنًا باهظًا.. محتويات مقبرة فرعونية كاملة.

تأملت وجهه بذهول، وعقلي يحاول استيعاب هذا الكم الجهنمي من المعلومات، ويحاول ربطها بما

سمعته مسبقا، ثم توقفت عند النقطة التي يتحدث فيها عن تابوت حيرام، وعلم الغيب وقلت:

- " أي شيطانة هذه، وأي حماقة تدعيها، لا أحد يعلم الغيب إلا الله و...؟".

ابتسم جمال رضوان في خبث وقال بصوته المخيف، وهو يقرأ أفكاري:

- "أكمل وقلها لتجيب عن نفسك.. ومن منحهم الخالق هذه الهبة".

لم أستطع الرد، ففي شريعتي، كان الخضر يعلم الغيب، وبشر الرسول الخاتم بفتح مكة وعلو دينه، وأخبر بأمر القيامة والجنة والنار، والدجال والمسيح، وأمر الكعبة، ويأجوج ومأجوج، وغير ذلك مما يكون آخر الزمان، كل هذا من علم الغيب ، كما كانت هناك أحاديث تتحدث عن الربانيين ومن ينظروا بنور الله، كالليث بن سعد وغيرهم.

لست متعمقا في هذه الجوانب الدينية، ولكنه يحاول هز قناعتي بما أملك من معلومات عجز عقلي المنهك عن فهمها أو تفنيدها، وما رسخ بوجداني إما أنها مجرد أسطورة يتناقلونها، أو أن حقيقة هؤلاء السبعة الأوائل تختلف عن كونهم مجرد سحرة.

تجاوز هو هذه النقطة، فلم تكن تعنيه قناعتي من عدمها، ثم أكمل حديثه قائلا:

- "تواصل كهنة الثالوث مع عز صنع اضطرابا سحريا عظيما، تعارض مع العديد من المسارات السحرية المختلفة، للعديد من السحرة على رأسهم ليليث النارية، فلم يكن هذا الأحمق يجيد استخدام أدواته، أو طمس آثاره، وبقدراتها الفذة تعقبت ليلى أثر سحر عز، والذي كان يمارسه من وراء ظهري بعد أن ألقيت عن عاتقي كل هذه الأمور، بل وحددت مكانه بتعويذة تتبع شديدة الدقة، وقررت لقائه، لتستولي على ما لديه من مخطوطات وعلوم محظورة أو في أسوأ الظروف تخضعه لسلطانها.

وكان من سوء طالعها أن عز، كان يعمل في الخفاء على أمر مروع.

الكارثة التي بدأت كل هذه الأحداث المشؤومة.

كان يعمل على تدمير حزام يائيل، كان يريد أن يصير الساحر الأعظم في العالم، بعد أن وعدته كاهنات الثالوث بتحقيق كل أحلامه، واستخدمن غروره وعلومي السلبية مع فنونهن المظلمة لتدمير خط الدفاع الأقوى للكوكب، ويخرجنني من عزلتي لاستكمال مخططهن الدموي وتفعيل العهد، فالكلمة لديهن ميثاق لا يمكن خيانته أو التراجع عنه، لقد تلاعبن بي وبعز، ولكني لست بحماقة عز، وأدرك أنهن يفين بعهودهن وفق حاجتهن.

لم أكن بالطبع محيطا بكل هذه التفاصيل في حينها، ولم أمنح لغياب عز عني الأهمية المناسبة، حتى وصلت ليلى إلى بلدتنا، والتقت بعز، واستعدت أنا قوتي وعنفواني، وعدت كطرف رئيسي في الأحداث.

ولم يبالي عز الأحمق بمكانتها السحرية بعد أن صار في معية كاهنات الثالوث، ولم يبالي بمكانة أبيها، وأنها موضوعة تحت المراقبة لأربعة وعشرين ساعة، وأن أبيها كان ساعدها الأيمن، بعد أن مهدت له الطريق ليكون من أكبر رجال السلطة، وكان أبوها هو حارسها الأول، وكان قادرا على الوصول لمكانها طوال الوقت، وبصلاته ونفوذه، صدر أمر صارم بتحريرها من أسرها مهما كان الثمن.

وبعدها وقع الصدام الرهيب.

حاول عقلي أن يستنتج طبيعة هذا الصدام، ولكن أصابه الشلل، كما أصاب جسدي، وعندما قرأ جمال رضوان ما يدور في عقلي، قبض على يدي وقال:

- " لترى بعينيك أفضل".

هذه المرة وجدت نفسي بقلب المسلخ، رأيته هناك بهيئته الحالية المخيفة، ولم يكن وحده، بل كان بصحبته عز أيضا، وكان يقف أمامه ببنيته الضخمة،

ووجهه الأشد خبثا، كطالب فاشل يعنفه أستاذه، ومن الجلي أن جمال كان يمر بموجة غضب عاتية وهو يصرخ في عز:

- " ستظل أحمقا إلى الأبد يا عز.. ستظل أحمقا.. مهما امتلكت من قوى سحرية وقدرات، فالذكاء لا يورث أو يكتسب. هل تدري لماذا بقيت على قيد الحياة حتى هذه اللحظة.. لأنني كنت أقيم أعدائي جيدا، وقبلها أقيم قدراتي، لم أخض معركة إلا وأنا متأكد جيدا من ربحي لها، وأنت دخلت كل معاركك بجهل مدقع وغرور مدمر، لقد فتحت علينا أبواب الجحيم، وجعلتنا في مهب الريح، السرية هي أعظم دروع الساحر، والجميع هتكها الآن".

حاول عز أن يبرر فعلته، فأشار له أن يصمت، وهو يحرك يده فوق إناء من الخزف ممتلئ بالماء، ظهرت على سطحه مشاهد مختلفة لعدد ضخم من القوات الخاصة المقنعة، والمدججة بالسلاح، وقد بدأت تتحرك بحذر لاقتحام المصنع المهجور بعد أن حاصرته بطريقة محترفة، وهو يقول:

- " لقد سبق السيف العزل، وأصبحت معركة مفتوحة الآن، وأول درس عليك أن تتعلمه يا عز، أنني لا أغفر الخيانة قط، والأخير أنني لا أترك ظهري مكشوفا عند خوضي لأي من معاركي، كان عليك أن تدرك مبكرا، أنك أصبحت أكبر نقاط ضعفي ولذلك..

قاطعه عز بعد أن ظهر على وجهه ملامح الفهم، وهو يقول:

- " ماذا ستفعل أيها اللعين، هل تظن أنني عز الضعيف، إنني الآن الشيخ عز و.."

وقبل أن يكمل حديثه، تموج جسد جمال رضوان، وخرجت منه أهداب طويلة جعلته يشبه أخطبوطًا بشريًا، أحاطت هذه الأهداب بجسد عز القوي في لمح البصر، وفي لحظة واحدة تخللت خلايا عنقه كنصال حادة، وانتزعته من جذوره، وجمال يقول:

- " سابقا.. الشيخ عز سابقا أيها الحقير.. لي عودة لجثتك بعد أن أنتهي من هؤلاء الحمقى، إنني لم أقبل

بعودتك إلا لعقابك".

قالها ثم توترت خلاياه أكثر، والأهداب تنسحب إلى داخل جسده، ليعود إلى هيئته السابقة، في نفس اللحظة، التي هاجم فيها الجنود المقنعون المكان، وأيديهم على أزندتهم، وقائدهم يصرخ في صرامة:

- "نفذوا عملية الإخلاء.. ولا تتركوا بعدها أحياء".

كنت أتابع ما يحدث بأنفاس لاهثة من فرط الرعب والهلع والدماء التي سفكت أمامي وأنا أفكر، إنهم يسعون الآن لتحرير ليلى النارية. ومن عدد القوات أدركت قوة نفوذ أبيها، ولكن ما أدركته أكثر هي قوة الشيخ جمال رضوان، خاصة عندما فرد ذراعيه بمحاذاة جسده، وصرخ في قوة:

- " الموت للجميع".

وفي لحظة واحدة ارتج المكان كله في عنف وكأنما أصابه زلزال قوي، ثم بدأت الجثث الممزقة تنهض على

هيئتها، وكأنما عادت لها الحياة، أو تمتلك حياة خاصة بها.

تجمدت أصابع الجنود على أزندة اسلحتهم، من هول ما رأوه فلم يتخذ أي منهم أي ردة فعل لعدة ثواني، كانت كفيلة للأذرع والسيقان والأنياب الحادة أن تخترق أجسادهم في قوة وتمزقها إربا.

وعلى الفور بدأت أصوات الرصاصات تتعالى في المكان، وتناثرت الأشلاء في كل مكان، وجمال رضوان على وقفته يتابع تمزق الموجة الأولى من الجنود، على أيدي موتاه الأحياء.

وعندما فجر أحد الجنود نفسه في تلك الجثة النصفية التي كانت تلتهم عنقه في وحشية، طال أثر التفجير كل شيء، وتناثرت الدماء في كل مكان، ولم يبق إلا صوت الجرحى من الجنود الذين تكالبت عليهم بقايا الجثث الحية حتى مزقتهم إربا.

وبرغم قرب الانفجار من موقع جمال رضوان، إلا أنه لم يتحرك من مكانه أو يبدو أنه تأثر من جراء موجته الارتدادية، فقد كان عقله غارقا في ترديد تعويذة خاصة، وهو يرصد هبوط الموجة الثانية من الجنود إلى داخل الساحة الغارقة في الدماء والأشلاء عن طريق حبال قوية من فوق سطح المصنع.

وكان من الواضح أنهم ينزلقون دون أن يعلموا إلى فخ مميت، فما أن لامست أقدامهم الأرض، حتى اشتعل المكان كله بنيران قوية زرقاء لا يمكن أن تكون طبيعية بأي حال من الأحوال، وهذه النيران العجيبة ذات الألسنة المتعددة حولت المكان لجحيم مستعر في غمضة عين، ومعه الموجة الثانية من الجنود الذين دوت صرخاتهم في قلب المكان، وأسلحتهم ومعها أجسادهم تتفجر وتتفحم في لمح البصر، فعبق المكان دخان كثيف حمل رائحة الشواء والموت.

أما مصير الموجة الثالثة فقد كان مخيفا، على الرغم من وجودهم خارج المكان، بعد أن وقع على عاتقهم مهمة تأمين المصنع من الخارج حتى تنهى القوات

المهاجمة مهمتها بالداخل، وتنقذ المرأة المهمة ومن صحبتهم معها إلى هذا الجحيم.

فقبل حتى أن ينتبه أي منهم لما يحدث داخل المصنع ومصير رفاقهم الأسود، ترددت في المكان تعويذة مظلمة بصوت الشيخ جمال المخيف، على أثرها انشقت الأرض تحت أقدامهم، وأخذت تبتلعهم في سرعة رهيبة، لم يمتلكوا أمامها أي ردة فعل، وهي تعتصر أجسادهم بداخلها، حتى تهشمت عظامهم، واختلطت بلحمهم في مشهد رهيب.

ولم يتوقف الأمر عند هذا، بل عادت الأرض لتلتئم كما كانت، لتفصل رؤوسهم التي بقيت فوق سطحها عن أجسادهم المسحوقة بداخلها، لتمتلئ ساحة المصنع الخارجية بعشرات الرؤوس المقطوعة التي ارتسم على ملامح كل منها ذعر رهيب بعد أن فقدوا حياتهم في لحظة غادرة.

وبعدها ساد هدوء رهيب، قبل أن يتوتر جسد جمال رضوان، وتخرج من جسده تلك الأهداب السوداء

وتتشكل في هيئة مخلوق رهيب، بدأ في وحشية تليق بمن هو مثله في تناول الأشلاء التي غمرت المكان.

كنت في ذهول من هول المشاهد الدموية الرهيبة التي أعاصرها، وإن غلبتني حاستي الصحفية فتساءلت بسرعة:

- " وأين ليلى من كل هذه الأحداث؟".

وجاءت الإجابة سريعة إلى عقلي ، ورأيت ليلى للمرة الأولى قابعة في تابوت من المعدن، فاقدة الوعي، وقد تم لفها بوشاح كتاني مطلسم، أغرقها في سبات عميق، وعزلها عن العالم الخارجي.

كانت سيدة نحيلة في الخمسين من عمرها، لديها وجه فاتن، حتى بعد أن قصوا لها شعرها بالكامل، وأغرقوا جلد رأسها بالطلاسم والنقوش.

بعدها انقطع التواصل العقلي، فشعرت للحظة بالدوار، ولكني تمالكت نفسي وأنا أنظر له بدهشة عظيمة،

فقال:

- " عز تلميذي الأحمق من قام بأسرها هي ومن صحبتهن معها من مساعدات، بعد أن منحها عهد الأمان ونقضه، دون أن يفكر في العواقب، ولم أعلم عنها شيئًا إلا من وقت قريب، وعندما أدركت أهميتها قررت أن تقديمها كقربان سيكون خسارة فادحة، فمعلوماتها عن تابوت حيرام تمثل كنزًا عظيمًا لمن هم مثلي".

وهنا عادت روح الصحفي لتتلبسني، وقلت:

- " إذا متى قاموا بالقبض عليك، وكيف؟"

الإجابة الصادمة:

- " أدرك والد ليلى النارية بعد أن خسر جولته الأولى معي، أن المواجهة المباشرة معي لن تكون نتائجها في صالحه أبدا، فعمد إلى الخطة باء، والتي وضعتها تلك الساحرة الأريبة بنفسها، فاستعان بالساحر البورتريكي ، الذي استعان بزمرة من سحرة الوقت، وعلى حين

غرة استطاعوا عزلي ودخول عريني.. والاستيلاء على غنيمتي، وتحصينها ضد التتبع باستخدام السحر، وكانت هذه هزيمة لي لم أقبل بحدوثها.. ولذلك أنا هنا الآن".

لا أعرف إن كان أصابني نوع من التبلد، أم أن سيطرته على عقلي هي ما أصابتني باللامبالاة، وأنا أسعى بشغف الصحفي للمعرفة أكثر من صدمتي من هول ما يحدث ويدور حولي، لأنني ضبطت نفسي لا أفكر في مصير كل من ماتوا، ولا مصيري أو مصير سامح الصامت، فقط كنت أفكر في معنى جملة قالها، ووجدتها تتردد على لساني:

- " زمرة من سحرة الوقت؟ ما هو سحر الوقت وكيف استطاع هزيمتك؟".

وكانت إجابته أغرب ما سمعته في هذه الليلة المشؤومة، على الرغم من كل ما عاصرته، فقد قال ببساطة:

- " إن سحرة الوقت هم من لديهم القدرة على التحرك عبر مسارات الزمن، وأعظمهم من لديه القدرة على تجميده، إنه نوع من السحر يستهلك عمر الساحر بالكامل لإتقانه، ولا يعرف بوجوده إلا المخضرمين في عالمنا، وعن طريقه قام هؤلاء الأوغاد بمباغتتي.. كانت خطة مبتكرة لا أنكر هذا.. وعن طريق هذا الفن السحري النادر، جمد كبيرهم الزمن لدقيقة كاملة في محيط المصنع، ثم عبر الأخرون مسار زمني فرعي وحرروا أسيرتي، وأجبروني على القدوم إلى هنا، فصديقك العقيد سامح هو من تولى مهمة إخفائها، وهو من اختار المنزل الآمن الذي حصنه السحرة قبل رحيلهم، ولما كنت أمتلك كل الوقت، سعدت بجلستي هذه معكم".

قالها، ثم نهض من مكانه ببطء وتوجه نحو سامح ، وألصق كفيه بجانبي رأسه وتمتم بعبارات رهيبة زلزلت المكان.

وفي لحظة واحدة، كانت كل محتويات ذاكرة سامح، حتى التى تجمعت فى وجدانه الجمعى لأجداده،

والتي لا يعرف عنها شيئًا انتقلت إلى عقل جمال، الذي ضغط ببساطة على رأس سامح فتهشمت جمجمته بين يديه، وكأنها مصنوعة من ورق هش ، وتكومت جثته على الأرض وسط بركة من الدماء.

بينما استدار هو إلي بعيون مشتعلة، ووجه مليء بأهداب مرعبة، جعلته أشبه بالغيلان كما تصورهم الأفلام، وقال:

- " أنت ستأتي معي، فلم أنتهِ منك بعد".

قالها ثم مس كتفي بيده، فشعرت بالجلد في نفس المكان يحترق، وجسدي ينسحق، وتسحبه دوامة عظيمة سوداء، كانت تعمل على تفتيته، حتى نسيت تمامًا الشعور بجسدي وبمن حولي.

مرت ثوان كالقرون، قبل أن يعود إلي الشعور بجسدي، وبالمكان والزمان، لأجد نفسي في غرفة شديدة الأناقة، بداخل شقة فاخرة، كانوا يطلقون عليها المنزل الآمن، وفقدت على يديه هذه الصفة إلى الأبد.

وأمامنا في غرفتها الواسعة شبه المظلمة، وعلى أضواء الشموع، كانت ليلى واقفة في منتصف المكان برأسها الأصلع، ترتدي زيًا نسائيًا غريبًا، غارقًا بالنقوش والطلاسم والتعاويذ.

وكانت الحمقاء تقف أمامنا وفي عينيها نظرة تحد.

وما أن رأت جمال حتى بادرته قائلة:

- " كنت أنتظر قدومك".

ثم رددت كلمات ثقيلة باللغة السريانية القديمة، وعلى أثرها انطلقت ضحكة جمال لترج المكان، مما دفع من يقومون على حراسة ليلي بالدخول إلى غرفتها، دون استئذان، برغم تأكيد ليلى عليهم بعدم دخول غرفتها لأي سبب دون إذن منها.

كانت مجزرة سريعة، تكوم بعدها الحراس الثلاثة مهشمي العظام، فاقدي الحياة، قبل أن يشير لي جمال قائلا:

- " هيا".

لم أفهم ما الذي يطلبه مني أو يسعى إليه، فوقفت عاجزا عن التصرف، وأنا أنظر نحوه في خوف وتوتر، فقال بصوت يحمل بعض العبث:

- " إنها جميلة، وفي أعلى أيام خصوبتها، وأنت تشتهيها".

كلمته الأخيرة فقط هي التي أججت في عروقي سيالات من الرغبة والإثارة، ودفعتني لأتحرك دون إرادتي نحوها.

وقبل أن تخرج الفتاة من ذهولها، كان زيها المطلسم ممزقا دون أن تمسها يد، وتناوبت أنا الهجوم عليها كحيوان جامح لا يملك في الدنيا إلا شهوته، فقمت باغتصابها وهتكها بعنف وقسوة، وهي غير مصدقة لما يحدث لها، عاجزة عن التصدي له أو منعه.

لم يكن سحرها مجدٍ أمام قوة الشيخ جمال وسحره..

ولم تردعني دموعها، أو صراخها المتألم، وتفقد ثقتها في نفسها وعذريتها، فهي مازالت عذراء لأنه جزء من العهد الذي قطعته للشيطان.

ولم ينتهي الأمر هنا ..

بل اصطحبنا هذ الشيطان الرجيم بنفس الطريقة المؤلمة معا إلى المسلخ.

إلى حيث يمزق ضحاياه.

ويقدمها قربانًا لأسياده.

(11)

حرم علي ذلك الوغد الدموي دخولي إلى المسلخ لمدة شهر كامل، قبل أن يستدعيني عن طريق هرة صغيرة، حدثتني بلغتي العربية وبلهجة مصرية صميمة، في تلك الغرفة الخشبية التي صارت سجني، والتي كان يظهر لي فيها الطعام والشراب مرة واحدة يوميا بعد غروب الشمس، والتي لم أستطع برغم قلة تحصينها أن أغادرها مهما حاولت.

ألقت الهرة على مسامعي الأمر ثم تلاشت في الهواء..

لن أخبركم عن حالتي في هذه اللحظة، لأن الدماء تجمدت في عروقي، وأصبحت أتنفس بصعوبة، وأنا لا أفكر إلا في شيء واحد، أن لحظة موتي قد تحددت، وأنني قد تأخرت كثيرا في الهرب.

وعندما شعرت بتلك القوة القاهرة تدفعني لأتحرك، أيقنت أنني لم أكن أملك رفاهية الرفض أو الهرب مهما

حاولت، فحتى الباب الذي استعصى علي طوال شهر كامل وجدته مفتوحا، واستجاب لأول دفعة من يدي.

فعبرت الساحة في تلك الليلة الباردة، ودخلت المصنع المهجور، لأصاب بصدمة عنيفة على كل المستويات.

لن أخبركم عن الرائحة، لأنها أبشع من أن يحيط بها عقلي، فرائحة المكان صارت جهنمية بشكل لا يطاق، وهي مزيج من بقايا بشرية متعفنة تختلط برائحة كيماوية عجيبة، لا أدري كنهها.

وعند المدخل سالت دماء متجلطة كثيفة لم تفقد رطوبتها ولزوجتها بعد، كميتها توحي بعدد من تم إزهاق أرواحهم في هذا المكان الدنس طوال الشهر المنصرم، والمعلقة بقاياهم على الخطاطيف المعدنية التي أصبحت متواجدة في كل مكان.

الجلود المسلوخة، مع فراء الرؤوس ذات الشعر الطويل، المختلف في لونه ونعومته، والذي يدل على أن جميع الضحايا من النساء.

ربما كن عشرة أو مائة لا أدري.

كومة الأشلاء التي تتوسط المكان تجعل تمييز هذا صعب جدا.

الشيء الوحيد الثابت هنا، أن جميع الجثث تم سلخها بطريقة غير محترفة، أو أنها تمت بعشوائية.

قلبي يكاد يتوقف من الهلع والرائحة، ولكني أتقدم إلى داخل المكان.

أذرع وسيقان مسلوخة ملقاة في كل ركن.

أحشاء مبقورة ترتع بداخلها الديدان، ويحيط بها الذباب الذي لم يتوقف عن الطنين لحظة.

كان علي أن أتخطى الشلل المؤقت الذي أصابني، وأتقدم أكثر.

أتجاوز قدمًا مبتورة خلت من الجلد.

أشاهد على البعد عشرات الأيدي المسلوخة وقد قبضت كل منها على شمعة سوداء مطفأة، توزعت في أنحاء المكان بشكل عشوائي.

إنها يد المجد الملعونة، أحد أحط أدوات السحر الأسود، هناك شيء نجس لا أعرفه يدور في المسلخ الآن، فهل له علاقة بي..

دعوت الله ألا أكون على حق أو أموت قبلها..

أتفادى حفرة عميقة تغص بالأحشاء والأمعاء، والبقايا الداخلية للضحايا، والتي هي مركز الرائحة الشنيعة. وأقترب من تلك المنطقة التي تغص بعشرات الخطاطيف الصدئة، والتي مازالت تصلح لتعليق الضحايا.

الظلام دامس ولكني أراه جيدا، بسمته الشيطاني، وجسده القوي، وعينيه المخيفتان المجهدتان، يجلس خلف مكتب بدائي هو في الأصل طاولة لنجار، وقد

ثبت إلى ملزمته الحديدية، رأسًا لفتاة بشرية غير مسلوخ، تضغط الملزمة على جانبيه بقوتها العاتية.

وكان من الواضح أنه يتحدث إلى الرأس، والرأس يجيبه في أريحية، بالرغم من عدم اتصاله بباقي الجسد.

إن كل ما يحدث هنا يفوق كل تخيلاتي، ويتعداها لمرحلة الجنون.

على الطاولة مطرقة ذات رأس معدنية، وعشرات من المسامير الصدئة، وكان هذا الوغد المخيف بين لحظة وأخرى يتناول مسمارًا من بينها، ويقوم عن طريق المطرقة بدقه في الرأس المقطوعة، التي كانت تصرخ وتتألم، وكأنها مازالت على قيد الحياة.

أقترب أكثر.. فتبدأ الأذرع والسيقان والأحشاء والرؤوس المسلوخة في الحركة لتفسح لي الطريق إلى حيث يمارس طقوسه الدموية.

أقف أمامه عاجزا عن إيجاد كلمة واحدة يمكن أن تعبر عن مقدار ما يعصف بي من مشاعر خوف وغضب وكراهية.

يشير إلى نصف جثة سفلي هب من مكانه ،واتخذ شكل المقعد ويقول:

- " اجلس يا صديقي فمازالت الليلة في أولها".

لو خيروني بين الجلوس على هذا الشيء البشع، أو الموت مخوزقا، لاخترت الموت دون تردد.

ولكني لم أكن أملك إرادتي.

أجبرتني نفس القوة المجهولة التي أخرجتني من محبسي ، للجلوس على المقعد البشري المكسو بدماء متجلطة، فشعرت ببرودة اللحم الميت تتسلل إلى مسامي وتوتر أعصابي، ناهيكم عن ذلك الملمس الطري اللزج وذلك البلل الذي شعرت به يغرق نصفي السفلي.

كل هذا جعلني أقيء كل ما في معدتي من طعام.

اجتاحت جسدي قشعريرة مخيفة، مع تهيب جسدي من هذا المقعد البشري المفجع، ولم أستطع أن أخرج من حالة القرف والاشمئزاز والخوف التي اعترتني ووترتني، وأنا أنظر لذلك الشيطان البشري الجالس أمامي في كامل عنفوانه، وهو يلف ذراع الملزمة المعدنية، ليسحق جانبي رأس الفتاة أكثر وهو يقول:

- " النساء متعبات، حتى بعد أن تقطع أعناقهن، لا يخبرنك بما تريده إلا بعد أن يزهقن روحك ".

نظرت حولي متأملًا المكان على ضوء الشموع السوداء، التي بدأت تشتعل الواحدة تلو الأخرى، ثم عدت لأتقيأ روحي ذاتها.

ففي الجانب البعيد من المكان، كانت هناك فتاة معلقة بخطاف معدني صدئ ينشب في كتفها، وقد تم سلخ لحم أحد أثدائها، والغريب أن عينيها كانتا تتحركان، بنظرات ضراعة وتوسل.

نظرت إليها وعيناي تكادان تخرجان من محجريهما، فبت بين نار الفتاة، ورمضاء المقعد البشري الذي أجلس فوقه، وشعرت أني سأصاب بانهيار عصبي تام في أي لحظة، فأخرجت كل ما في داخلي من توتر، وصرخت في ذلك المجرم الجالس أمامي وقلت:

- " ما كل هذه الدموية أيها الملعون، حرر الفتاة وإلا مزقتك إربًا بيدي".

لم تكن جملة موفقة، خاصة مع شخص عاجز مثلي لا أملك أن أتنفس إلا لو سمح لي. وجعله انفلات أعصابي يبتسم في خبث، وهو يرفع نحوي قاع جمجمة ممتلئ بسائل يفور، ظهرت بين يديه من العدم، وهو يقول:

- " حنانيك أيها الصحفي الهمام، اشرب هذا وستهدأ أعصابك، ما زالت الليلة في أولها، ولم أبدأ عملي بعد".

قالها وهو يدير ذراع الملزمة ليسحق الرأس أكثر، والتي بدأت تنهشم وتصرخ، وتجاهلتها أنا في صعوبة، وأنا أشاهد يدي ترتفعان، لتقبضا على قاع الجمجمة

الذي يستخدمه كإناء في قوة، قبل أن تقربانها من فمي ليبدأ السائل في التدفق إلى جسدي.

هل تعرفون مياه الصرف الصحي الراكدة؟

تعرفونها.. جيد جداً.. لتمزجوها إذن، ببعض الدماء والملح، وتضيفون إليها الكثير جدًا من الشطة الحريفة الحارقة.

كان هذا هو طعم هذا السائل الملعون الذي قدمه لي.

احتسيته، ثم شعرت بجسدي ينتفض، وبرأسي يدور، وأحشائي تتمزق، قبل أن يزول الأثر السيء، وأشعر بكل شيء بداخلي يهدأ، لأسمع الصوت الشيطاني يقول:

- " هكذا أنت أفضل، بلا ضجيج أو تهور أو لسان سليط، ساعدني في تهشيم هذا الرأس، فقد انتهيت منها، ولنبدأ معا استجواب تلك العاهرة الصغيرة قبل أن تفقد وعيها".

وبدون إرادة مني هززت رأسي، ثم مددت يدي، وأدرت الملزمة في بطء وهو ينظر نحوها في استمتاع، فأخذت بقوة جبارة تسحق الرأس، التي اختلط جلدها بلحمها بعظامها بشعرها، قبل أن تنفجر في قوة ليسيل مخها خارج جمجمتها، ومعها دموعي الصامتة، وهي تصرخ صرخة أخيرة مروعة تمزق نياط القلوب.

وأمام الرأس التي قتلتها- لا أجد تعبيرا آخر للأسف - وقفت مذهولا، ولم أفيق إلا على صوت السوط، وهو يئز ويخترق الهواء، ليمزق لحم الفتاة العارية المعلقة، لتعلوا صرخاتها وتسيل دمائها.

لأدرك وسط دموعي أن الليلة السوداء ما زالت في بدايتها.

وأن المسلخ سيعمل ليلة إضافية.

وأن جلد هذه الفتاة لن ينتزع بسكين حاد.

بل سيتمزق من قسوة الجلد حتى يسقط وحده ..

إنها ليلة أخرى مع شيطان المسلخ.

وقد صرت مساعده الجديد.

-خاتمة-

لم يعد المسلخ غريبا عني، تسعة أشهر كاملة قضيتها بداخله بصحبة ليلى النارية، التي أفقدها جمال رضوان إرادتها بطرقه الجهنمية، نشاهد الهول ونموت به كل ليلة، نبحث عن مهرب دون جدوى، كل ما فكرنا به، يعلمه جمال، فكان يتركنا لنستنفذ طاقتنا قبل أن يظهر وجهه الكريه ليعلن إجهاض أحلامنا ويعاقبنا.

أو يعاقبني وحدي، فليلى يحميها حملها.

جسدي صار مشوها من كثرة ما به من علامات وإصابات، نتيجة الضرب والجلد والحرق، روحي نفسها صارت هشة، ولا يفصلني عن الانتحار إلا عجزي عنه .

دموية جمال رضوان تتضاعف، وكأنما لديه رغبة جامحة في تجربة كل ما نهى نفسه عنه قديما، بعد أن

استعاد صحته وحيويته، وفي نفس الوقت ينفذ العهد، ويمنح ذلك المخلوق الرهيب الراغب في التسلل إلى عالم الشياطين تلك القرابين التي يحتاجها.

أما عن ذلك المخلوق المفزع، فلم يعد يكمن بداخل جسد جمال طوال الوقت، بل كثيرا ما كان يتحرر، ليمارس ساديته هو الآخر على الفتيات العاريات.

لقد رأيت تجسده ذات يوم.

شيء بشع لا يمكن أن يتصوره عقل، أو يصل إليه خيال مريض.

كان يشبه الثور أو الماعز في نصفه السفلي، بحافريه، و قدميه المشعرتان القويتان، بينما كان نصفه العلوي، عبارة عن الآلاف من الأهداب المخيفة التي كانت تتلوى كالأفاعي.

لم أعرف تصنيفًا لهذا الكائن الجهنمي، هل هو غول أو جن أو شيء آخر لا أعلمه، ولم يخبرني به جمال.

ولم يكن هذا هو الهول الوحيد الذي عاصرناه، فقد كان هناك طقس يومي جديد، يقوم خلاله ذلك الشيطان الدموي، بتمزيق فتاة جديدة، وسلخها، واستنطاقها، بطرق وحشية وحيوانية مبتكرة، قبل أن يقوم بحرقها بعد أن يحقنها بسائل داكن صنعه من مواد عجيبة لا أعرف نطق نصف أسمائها، كانت تبقي الفتاة حية تتعذب لأخر لحظة.

كان ذلك الوغد متجددا في طقوسه، وفي منح الألم.

الأيام كانت كأنها متوقفة، واليوم كسنة، وفي هذه الأثناء، كان بطن ليلى يتكور، ويزداد حجما في كل شهر يمضي، وكان هو يعني بتغذيتها وراحتها بينما ظللت أنا كالخادم، أعاقب حتى على أفكاري.

لا أعرف كنه عشرات الأشياء التي أجبرها على تناولها طوال هذه الأشهر.

ولكني كنت أرى أثرها عليها، فهي كانت تزوي، والجنين يكبر، ويقيننا بقرب نهايتنا يزداد.

وفي اليوم الأخير من الشهر التاسع، قبل أن يأتي ليلى المخاض، أعادني إلى محبسي لثلاثة أيام لم أتناول فيها غير الماء، عدت بعدها لأجد ليلى قد أنجبت صغيرها، ولا أثر لهذا الصغير.

إنه ابني الوحيد ولم أره ولو مرة واحدة، بينما كانت ليلى كالذبيحة معلقة على الخطاف المعدني..

وكان المطلوب مني أن أقوم بسلخها.

الطاعة هي ما تعلمته طوال التسعة أشهر.

وتدرج العقاب كان يجبرني على الطاعة العمياء.

أنا لا أتخيل نفسي مكانها معلقا على خطاف معدني، جاهزا للسلخ ثم للحرق.

ولذلك، ودون تردد أحضرت أحد سكين لديه، وبدأت في شق جلدها.

لم تكن المرة الأولى التي أقوم فيها بمثل هذه الفظائع.

ولكنها كانت المرة الأصعب.

إنها ليست زوجتي ولكنها أم طفلي.

لذلك كنت أجعل جروحها غائرة، كي تُصَفَّى دماءها أسرع، وينتهي عذابها.

وبرغم قراءة جمال لأفكاري لم يمانع، فقد كان هناك أمر كبير يشغله.

وعندما نفقت ليلى على يدي، بعد أن قطعت لها وريدها العنقي الوداجي، والذي يحمل الدم من الرأس، وينقله عبر الوريد الأجوف العلوي إلى القلب، فقدت الوعي ..

وعندما عدت من غيبوبتي ..

كنت ملقى على جانب الطريق، وكان المصنع القديم محترقا عن بكرة أبيه، ولا يوجد أي أثر لوجود جمال.

أو طفلي.

كل تحرياتي وما استعنت بهم من معارف، لم يساعدونني بشيء بعد أن صدر أمر بحجب القصة وأحداثها، فسكنت الأرشيف.

حواراتي لم تنقطع مع جمال في الفترة التي قضيتها معه في المسلخ نزهق الأرواح ونعذب الفتيات، ونتقرب بطقوس هي الكفر عينه إلى العديد من الشياطين، وعندما سألته كيف ألم بكل هذه الأحداث التي لم يعاصرها، أخبرني أن المعارف والاحداث لا تموت بل تعلق ذاكرتها بالأماكن، والساحر القدير من يستطيع استعادتها.

كان ساحرا حقيرا لا قديرا.

سرق من عمري تسعة أشهر ..

واختطف ابني، الذي يحمل ذاكرة أمه، والذي سيساعده في الوصول للخبيئة ولتابوت حيرام، بعد أن علم بقدراته السحرية أنه لن يستطيع أن يحصل

عليها من الأم حتى بعد موتها لاستخدام سحرة الوقت تعويذة زمنية مظلمة عجز عن قهرها.

ولم يمنحني الموت لأستريح، لهدف لا يخفى علي ، وهو رابطة الدم التي تربطني بابني، والتي قد يحتاج إليها في يوم ما.

لقد سمم روحي وشوهها، ولكنه على الرغم من هذا فتح عيني على عوالم لم أتخيل وجودها برغم خبراتي السابقة.

ما زال فضولي مشتعلا لأعرف ما هو الحدث العظيم، الذي جعله يهجر عوالم السحر الأسود، ويتحول لمجرد حارس لمصنع مقاعد مهجور.

أحداث كثيرة فاتتني.

ولكن العزاء الوحيد، أن هذا لم يكن لقائي الأخير بجمال.

ولكنها قصة أخرى ..قصة مخيفة.. لن أستطيع أن أقصها على مسامعكم الآن..

وربما تبقى إلى الأبد في ملفها بقلب الأرشيف.

ولكن ما أعدكم به، أن لنا، لقاءً آخر، مع قصة أخرى مثيرة.

فإلى اللقاء.

تمت بحمد الله

نصف حياة – رواية

أيام الرماد – رواية

عزيف – رواية

الاستدعاء الأخير – رواية

همسات - رواية

المسخ – مجموعة قصصية

سايكو – مجموعة قصصية

شمس المعارف – رواية

أعمال الكاتب

المسلخ - فإلى اللقاء. تمت بحمد الله نصف حياة – رواية أيام الرماد – رواية عزيف – رواية الاستدعاء الأخير – رواية همسات - رواية المسخ – مجموعة قصصية سايكو – مجموعة قصصية شمس المعارف – رواية

- أوديسا الظلام- رواية
- أحبك أكثر- رواية
- الطوطم- رواية
- سايكو2 -مجموعة قصصية.
- بدم بارد- رواية
- أبحث عنك- رواية
- سر الحانوتي- رواية